الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

عبد الرحمان الحاج صالح والسماع اللغوي عند العرب

مذكرة معدّة ضمن متطلبات نيل شهادة الليسانس في اللغة العربية وآدابها

إعـــــداد:

سعدية دقلة

هناء برتيمة

حنان سخري

مباركة زغيب

اشراف الأستاذ:

عرباوي أحمد الشايب

السنة الجامعية :(1435-1436هـ/2015-2016م)

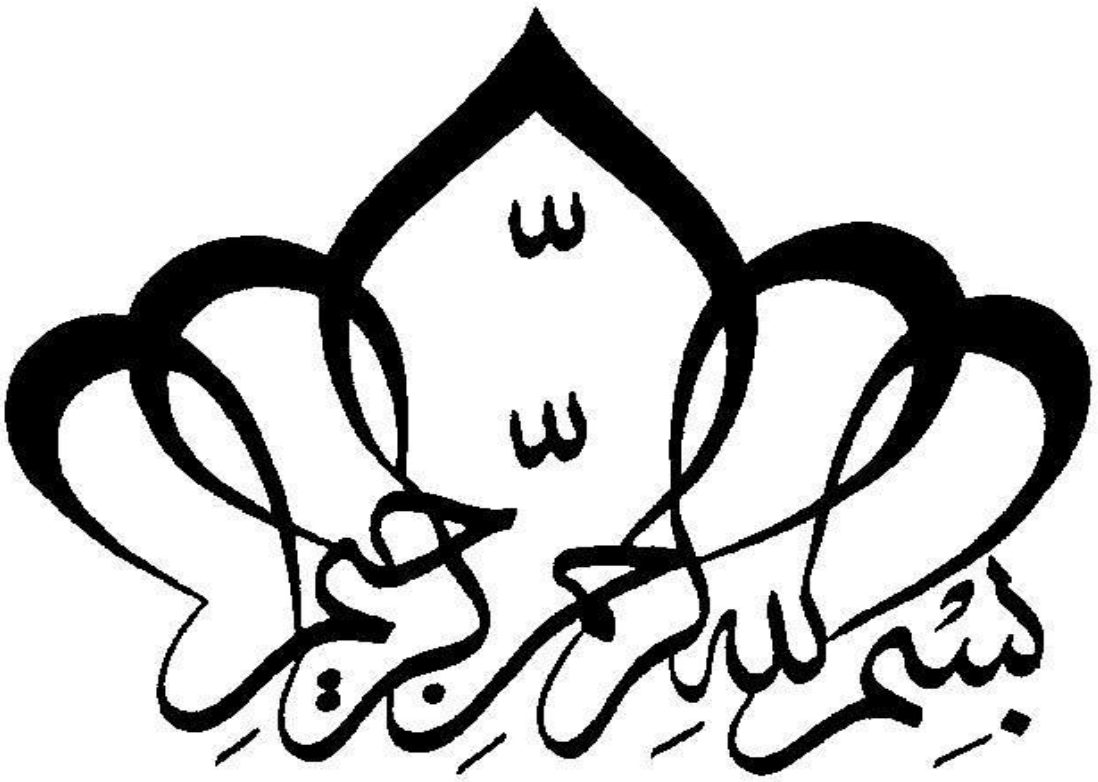

﴿اللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[النحل، 78]

شكروعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل

-نتوجه بجزيل الشكر والإمتنان إلى كل من ساعجنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهنا من صعوبات ونخص بالذكر الأستاذ "عرباوي أحمد الشايب "الذي لم يبخل بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا.

كما نتقدم بالشكر إلى عمال مكتبة " إقرأ"على كتابة وطباعة هذه المذكرة.

سعدية *** هناء

حنان *** مباركة

إهداء

نهدي هذا العمل العلمي إلى :

- أستاذنا المشرف " عرباوي احمد الشايب " الذي بذل معنا مجهودا وخصص جزءا من وقته الثمين لمتابعة هذا البحث، فرغم انشغالاته المتعددة، ومتابعاته العلمية المختلفة إلا أنه فتح صدره للإشراف و المساهمة في إنجاح هذا العمل ، فجزاه الله عنا كل خير.
- جميع الأساتذة الأفاضل الذين أفدت من كتبهم ونصائحهم وتوجيهاتهم .
- الوالدان الكريمان، حفظهما الله ورحمهما في الدنيا والآخرة .
- جميع إخوتي الأعزاء الطيبين .
- جميع زملائي ومن أحبنا وأحسن إلينا
- جميع أخوالنا وخالاتنا حفظهم الله في الدنيا والآخرة .
- أعمامنا وعماتنا بارك الله لنا فيهم .

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علم آدم الاسماء كلها،وعلم الانسان ما لم يعلم وأنعم علينا بالقرآن الكريم وحبانا بأن جعله للسان عربي مبين،والصلاة والسلام على رسوله الامين وأفصح الخلق لسانا وأعذبهم بيانا على آله وصحبه أجمعين،وأكرم بهم أنصارا وأعوانا:وبعده:

نطق العرب اللغة العربية ولم تكن قواعد النحو قد وضعت،حيث كان العربي يتكلم بلغته وفي لغته "اللهجة"دون أن ندعي تلك القوالب النحوية ولما نزل القرآن الكريم وبدأ الاعاجم يدخلون في الاسلام بدأ يظهر اللحن في قراءت الكثير من الايات فخاف أولوا الامر أن يحدث تغيير في القراءة يؤدي إلى تغيير في المعنى،وعند ذلك فكروا بكل جدية وموضوعية في وضع قواعد تصون اللغة وتحفظ سلامتها وهي قواعد مأخوذة مما كان العربي يتكلم بها على منواله فظهر مجموعة من العلماء والنحاة من بينهم ابن الانباري وجلال الدين السيوطي،ابن جني،حيث توصلوا إلى معرفة أدلة النحو وأصوله وهي السماع،النقل،القياس،الاجماع،استصحاب الحال،ومن بين هذه الادلة السماع وماله من أهمية وفعالية في اكتساب اللغة تحصيلا وأداءوهذا ما جعل العرب بفطرتهم ينقادون إليه،ويحرصون على تهيئة وتوفير جو السماع النقي لاولادهم وأكدت الكثير من البحوث الحديثة في الميدان أن الاذن هي أول وسيلة تعمل عند الجنين وأول وسيلة يستقبل بها العالم الخارجي عند ولادته،وذلك قبل حاسة البصر وهذا ما يؤكد قوله تعالى "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون".النحل 87.وقد انتهج المحدثون على منوال النحاة القدامى في دراستهم الاصول النحو والسماع بصفة خاصة وقد كان من بينهم عبد الراحمن الحاج صالح والذي أفرد له دارسة خاصة في كتابه السماع اللغوي عند العرب وقد إرتأينا أن يكون موضوع بحثنا حول عبد الرحمن الحاج صالح والسماع اللغوي عند العرب والهدف من هذا البحث تجلية مفهوم السماع عند الاصوليين وتوضيح ما أنفرد به الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من مفاهيم وأفكار وردود تتعلق بهذاالموضوع،موضوع السماع،أما إشكالية البحث فيكمن عرضها من خلال التساؤلات الاتية:

1-ما ماهية السماع اللغوي؟

2-ماهي مصادره؟

3-ماهي آراء الباحثين حول السماع؟

4-كيف عالج عبد الرحمن الحاج صالح موضوع السماع اللغوي؟

وقد اقتضت منا دراسة أن تكون خطة البحث الاتية:

قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول:

الفصل الاول خصصنا الدراسة لتعرف بعبد الرحمن الحاج صالح ونبذة عن حياته ومولده ثم مفهوم السماع؟

الفصل الثاني خصصناه للتعرف على أهم مصادر السماع اللغوي فكان المبحث الاول في القرآن الكريم والمبحث الثاني في الحديث النبوي الشريف والمبحث الثالث في كلام العرب.

الفصل الثالث تضمن دراسة في مفهوم الفصاحة و ثانيا اهتمام العرب بالسماع وثالثا تقنيات السماع.وختمنا بحثنا بالاجابة عن كل تساؤل كان سببا في هذه الدراسة أما المنهج المتبع فكان المنهج الوصفي التحليلي وهذا وقد استعنا بجملة مصادر ومراجع نذكر منها:كتاب السماع اللغوي عند العرب (عبد الرحمن الحاج صالح) وأيضا أصول النحو العربي (محمد أحمد نحلة)ومدخل إلى أصول النحو(محمد خان)الاقتراح في علم أصول النحو(جلال الدين السيوطي)ومن المعاجم لسان العرب (لابن منظور) وقاموس المحيط(الفيروزابادي) تهذيب اللغة (أبو منصور الازهري)

ومن المصاعب التي واجهتنا تشعب الكتب التي استقينا منها المعلومات وصعوبة الاحاطة بها وندرة بعض المصادر والمرجع التي تتحدث عن السماع اللغوي عند عبد الرحمن الحاج صالح

وآخير وعرفانا منا نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى المشرف الاستاذ الفاضل "عرباوي أحمد الشايب"الذي خدمنا في هذا البحث وشجعنا على دراسة موضوعه الذي لم يبخل علينا بالنصائح والتوجيهات وكان صبورا معنا طيلة مشوار البحث كما لايفوتنا أن نشكر كل من درسوا هذا التخصص،وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد.

الفصل الأول

التعريف بعبد الرحمان الحاج صالح ومفهوم السماع

الفصل الأول: التعريف بعبد الرحمان الحاج صالح

أولا: مولده وحياته

ولد في مدينة وهران أكبر ولايات الغرب سنة؛1927م [1]،تقدم إلى الكّتاب كما يتقدم سائر طلاب العلم لحفظ القرآن الكريم ،وتعلم في أحضان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [2] ،بداية دراسته كانت في مصر ،وبعدها انتقل إلى بوردو وباريس،تحصل على التبريز من باريس ودكتوراه الدولة من جامعة السوربون في باريس، نزل أستاذا بجامعة الرباط سنة1961م إلى سنة 1962م وبجامعة الجزائر بعد ذلك[3]3،وصار مدير معهد العلوم اللسانية بالجزائر، ثم مديرا المركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية وعينه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م.

وكما نرى فإن الأحداث التى مرّ بها الأستاذ أثّرت على حياته العلمية. فنشأته في جمعية العلماء المسلمين،رحيله إلى الجامعة الأزهرية،حيث أدرك قيمة التراث اللغوي العربي،وعمله في المملكة المغربية واحتكاكه بعلم الرياضيات هناك ،كل هذا عجّل بصقل شخصيته الفذة، مما سمح للرجل شغل مناصب علمية وإدارية منها على التالي:[4]

-عضو المجامع اللغوية العربية الآتية:دمشق وبغداد وعمان والقاهرة

-ويشرف الآن على مشروع الذخيرة العربية الدولي.

(1) . عبد الرحمان الحاج صالح: السماع الغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ،موفم للنشر ،دط، الجزائر ،2007

(2) . التواتي بن التواتي:المدارس النحوية،دار الوعي،دط،2008م،ص140.

(3) . عبد الرحمان الحاج صالح :السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة.

(4) . فصيح مقران: المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي ،دار الوسام العربي ،ط1،عنابة، الجزائر،1432هـ-21011م،ص466-467.

ثانيا. جهوده اللغوية والعلمية:

أ. جهوده اللغوية:

جهود الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح كثيرة،ونيرة أعطت أكلها في ميادين شتى منها:

الأصول[1]: لقد بذل الأستاذ جهدا من أجل الحفاظ على اللغة العربية وإثرائها، وجعلها وافية بمستجدات العلم الحديث قادرة على الدوام على أداء رسالتها أدق أداء،فكان يصرّ على المعرفة بالنماذج القديمة التى تكتسب المتن اللغوي الصحيح،لا العربية التي يغلب عليها السجع،وانتقاء الألفاظ،فلا يلزم امتلاك معرفة مستفيضة بالتفصيلات المعقدة للنحو العربي،لأنه لا ينظر إلى النحو على أنه الإعراب،والتفيهق [2]،بل الأساس فيه هو التمسك بآليات الإعراب الذي يجلي المعاني،وبهذا غرس الاتجاه العقلي بعد تنقيح النقل،وظل قواما على عمله الأكاديمي في أعماله التي ربط فيها بين الدراسات العربية القديمة،والحديثة،مع الدراسات الغربية.

وفي هذه النقطة يركز الأستاذ على الأصالة اللغوية لا كمقابل للحداثة،بل كمقابل للتقليد مهما كان المقلّد،ومهما كان زمانه،ومكانه،وعلى هذا فلا بد من النظر الممعن في كل ما يصدر من الغير من النظريات وتمحيصها تمحيصا عميقا،والالتفات إلى كل ما وجّه لهذه النظريات من الانتقادات الموضوعية في نفس البلدان التي ظهرت فيها،وفي غيرها.وقد حاول الأستاذ أن التراث العلمي اللغوي الأصيل مما أبدعه الأولون ثري بالأفكار الأصيلة،والمناهج النافعة،والتحليلات العميقة،وهي لا تقل قيمة عما جاءت به الدراسات الحديثة،بل أن أغلبها صحيح على الرغم من أن منظورها غير منظور البنوية الحديثة بل تفوت قيمة غيرها من المفاهيم.وإن عدم فهمنا لتراثنا العلمي الأصيل سببه جهلنا بأغراض العلماء الفطاحل مما قالوه،وأثبتوه،وعدم إلمامنا بكل ما وصل إلينا لنتقبله بارتياح، ولكل ما

(1) . صالح بلعيد،مقاربات منهاجية،،دار هومة،دط،2004م،ص148.

(2) . عبد الرحمان الحاج صالح،مجلة المجمع الجزائري للغة العربية،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحطة الرغية الجزائر،ديسمبر2005م، ع4،ص27.

نقرأه من الأخبار المشوهة،وفوق كل هذا إسقاطنا التصوير الغربي الخاص بمذهب واحد كالبنوية الحديثة مثلا على تحليل العربية، والنبذ بالتالي لكل ما لا يتناسب مع هذا التصوير، و الاستاذ لاينبذ أبدا ما يأتينا من الغرب–ولا من القديم– و إن كان منظوره غير منظورهم،لكن لا يعتبر ذلك من الحقائق العلمية إلا إذا قام الدليل على صحتها.

وفي هذه النقطة دائما يؤكد أصالة الفكر العربي،ويعني أصالة النحو العربي بالطبع ليربط بين التيارين اللذين بتياريان هذه المسألة؛التيار المتحجر الذي بقي منغلقا على ثقافة القرون الخمسة الهجرية الأولى، والتيار الذي لا يرى بديلا عن الثقافة الغربية، وضرورة تطبيق آلياتها على اللغة العربية كي تستفيق من غفوتها.

وأمام هذا الخلاف يحاول الأستاذ وضع نقاط تلاق للتخفيف من هذا الخلاف معتمدا على ربط التراث العربي الأصيل بأحداث ما ينتجه العلم الحديث،ومما هو مجمع على صلاحيته، ويسلط الضوء على اللغة في نشوء المفاهيم وتأثيرها في تولد المعاني[1].

2. **في اللسانيات:** إن هذا العالم الجليل،والنحوي الأصيل،واللساني الفذ واتته الظروف ليظهر كعلم من أعلام علم اللسان لا على مستوى وطنه بل على مستوى العالم [2].فالأستاذ غرام خاص باللسانيات وفقه اللغة،فهو من دعاة القراءة الواعية للتراث،والدراسة العميقة له بمفاهيم آنية[3].فهو من الباحثين المجديدين في مجال اللسانيات الحديثة، وما يمكن أن تستفيد العربية الفصحى من النظريات السائدة اليوم في مجال البحث اللساني،وما ينفرد به اللسان العربي.[4]

ففي هذه النقطة لا يهدم مسلمات سابقة،بل يبنها على وعي جديد، وعي لما يكتبه باعتبار الأيمان الواعي أفضل من الإيمان التقليدي.

(1) . مقاربات منهاجية ،ص148-149.

(2) . التواتي بن التواتي،المدارس النحوية،،ص141.

(3) . مقاربات منهاجية،ص149.

(4) . عبد المجيد عيساني،النحو العربي بين الأصالةوالتجديد،دارحزم.ط2008،1م،ص240.

وهكذا أن اللغة العربية يجب أن تقرأ من خلال اللسانيات الحديثة،هذا العلم الذي حفل به كثيرا،وكتب فيه مواضيع شتى،وقارن بين الدراسات اللغوية العربية القديمة،وبين ما أنتجه علم اللسان الحديث،ليرى أن هذا العلم أوسع مجالا،وأكثر نفوذا ونجوعا،لا بالنسبة ما كان عليه فيما مضى فقط،بل بالنسبة أيضا إلى ما إستفادته العلوم الأنسانية الأخرى من تحديد عميق بتطبيقها لمناهجه الخاصة على مواضع أبحاثها.من خلال ذلك أعاد النظر في كل المعلومات،والمناهج التى تركها السلف؛باعتبار أن اللسانيات ثورة على تلك المفاهيم التى لا تحديد عن النمط القديم لدرجة القداسة.ولقد قام الباحث في مجال علم اللسان بالتحليل و النقد الأهم مفاهيمه، ومناهجه،ونشأته وأطواره[1]،ثم تعرض لعصر الدراسات المقازنة والتاريخية[2].ثم مدخل إلى علم اللسان الحديث[3].

وهكذا جال في الظواهر اللسانية مستخلصا مايلي:[4][4]

- اللسان قبل كل شئ أداة تبليغ.
- اللسان ظاهرة اجتماعية.
- لكل لسان خصائص من حيث المادة والصورة.
- اللسان في حد ذاته نظام من الادلة.
- للسان منطقه الخاص به.
- اللسان وضع واستعمال،ثم لفظ ومعنى في كل من الوضع والاستعمال.
- للبنى اللغوية مستوى من التحليل غير مستوى الوضع،وغير مستوىالاستعمال.

3. الرصيد الوظيفي المغاربي:أنجزه باشتراك مع تونس والمغرب وموريتانيا؛ويتناول أهم ما يستعمله الطفل المغاربي في سنوات الطور الأول،ويعمل على

(1) . عبد الرحمن حاج صالح بحوث ودراسات في علوم اللسان،موفم للنشر،دط،2007م،ص47-87.

(2) . المرجع نفسه،ص89-109.

(3) . المرجع نفسه،ض111-172.

(4) . مقاربات منهاجية،ض150.

تحديد القدر المشترك من الألفاظ بين أطفال بلاد المغرب العربي بهدف توحيد لغتهم وتفادي الحشو الذي يثقل ذاكرة الطفل بما يحتاج إليه من الألفاظ ويستهدف هذا العمل الجماعي ما يلي:

-توحيد اللغة في نواتها الأساسية.

-إعطاء فكرة عن بناء معجم مدرسي موحد.

-مدى استفادة معلمينا من مصطلحات مؤسستنا العلمية.

-الوصول إلى إدراك عيب الكتب المدرسية من المضمون وطرائق تبليغه.

-الحد من فوضى استخدام الترادف.

-احترام التدرج في استعمال الألفاظ.

-حذف الألفاظ غير الوظيفية.

-توظيف ظاهرة الاقتصاد في الخطاب،وإصلاح لغة الاتصال[1].

4. في الرصيد اللغوي العربي:وهو مشروع جماعي يعمل على ضبط مجموعة من المفرادت والتراكيب العربية الفصيحة أو الجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في مرحلة التعليم الأساسي والثانوي؛ حتى يتسنى له التعبير عن الأغراض و المعاني العادية التى تجري في التخاطب اليومي من ناحية، ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية و العلمية الأساسية التى يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة من التعليم،ومن مزاياه:

-توحيد لغة الطفل العربي و الشباب العربي عامة،مع المحافظة على خصائص كل قوم المعيشة والثقافية.

-استجابته لما تقتضيه نواميس التربية السليمة وحضارة العصر الحديث؛لأنه يشتمل على أكثر مما يحتاج إليه التلميذ في طور من الأطواره،ولا يتجاوز الحد الأقصى الذي يكون ما بعده سببا في تضجر التلميذ

(1) . عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ،موفم للنشر،دط،2007م،ج2،ص119.120

للغة نفسها.وينبني على إحكام الصلة بين اللغة، والمدرسة،وبين لغة التخاطب اليومي؛ بحيث يستطيع التلميذ يعبر عن كل ما يختلج في نفسه، وعن متطلبات العصر في يسر وسهولة،ثم يتفادى الغموض،وعدم الدقة[1]

5. في التعليميات: لقد كتب الأستاذ عدة مقالات في هذا المجال،وفيها ينتقد منهجية تلقين الدروس،ويقدم البدائل النوعية التى ترقى بالدرس الان يكون محبوبا،ومفهوما[2].فنراه يكتب في الأسس العلمية، واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي،وفي الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية. وفي علم تدريس اللغات والبحث العلمي وفي منهجية الدرس اللغوي.وفي حركة التعريب في النظام التعليمي في الجزائر[3].

والاستاذ منذ تأسيسه لمعهد اللسانيات يؤسس فرق بحث في مجال الديداكتيك،مستخدما فيها طرائق تبليغ النحو العربي القديم،بتطبيق مبادئ النظرية الخليلية الحديثة وخطواتها الأجرائية في الدرس اللغوي الحديث[4].

فقد أسهم في بناء النهضة التعليمية للصغار،والكبار،وللموظفين،وقد وضع لهم طرائق تناسب سنهم وأعمالهم،والتى أهلته الان يكون على رأس اللجنة الوطنية الإصلاح المنظومة التربوية،وهذا نتيجة الخبرة، والدراية التي ميزت أعماله التربوية على وجه الخصوص، ولقد كان الأستاذ واعيا بأهم الخطوات التعليمية التي تعمل على تنمية خبرات التطور والتصميم الأنظمة جديدة مستخدما الوسائل التربوية في الأتصالات المرئية،من مثل: التلفاز، والحاسوب،والكبتار،والانترنت.

والأستاذ يتأسف على ما أصاب الفصحى خلال القرون الأخيرة من الضعف،والهزال،وما أصاب شتى القطاعات في وسطنا العربي، ولا سبيل إلى تداول هذه الحال إلا بالإخلاص في تعليم

(1) . مقاربات منهاجية، ص151

(2) . بحوث ودراسات في علوم اللسان،ص228-240

(3)عبد الرحمن الحاج صالح،بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ، موفم للنشر،دط،2007،ج1 ،ص199- 204.

(4) . مقاربات منهاجية ،ص150-152 .

الفصحى، وقواعدها،والتوعية بأهمية اللغة في حياتنا الأجتماعية،والعلمية بوجه خاص،وبذالك يسهل استخداما حتى على أنصاف الأميين.

6. في الكتابة في الموسوعة والمجلات: لقدكتب الأستاذ في الموسوعة الاسلامية حول مصطلح (lugha).الطبيعةالجديدة لندن سنة 1984م، وكذلك كتابته عن مصطلح(معارف) في نفس الموسوعة، والتي تتحدث عن التعليم في الجزائر. كما كتب في الموسوعة التي أصدرتها المنظمة العربية، والثقافة، والعلوم والمسماة: (موسوعة أعلام العرب والمسلمين). إلى جانب عضويته في مجلسها العلمي. كما كتب كثيرا من المقالات في مجلات المجامع، نذكر من بينها: مجلات مجمع اللغة العربية بكل من مصر، ومجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلات أوروبية كثيرة، أضف إلى ذلك مجلة الثقافة الأصلية واللسنيات و المبرز للمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الأنسانية ببوزريعة، ومجلة اللغة العربية للمجلس الأعلى للغة العربية،ومجلة المجمع الجزائري للغة العربية التي يديرها.

ب. جهوده العلمية:

وهي كثيرة ومعاصرة، ويمكن التركيز على النقاط التالية:

1. في المصطلحات: نعرف جميعنا دور المصطلحات وضبطها، فهي الواجهة الحقيقية لكل علم من العلوم، والتحكم فيها يعني التحكم في العمل العلمي والمنهجي، وإن الغربيين تقدموا بفضل تحكمهم في الصطلحات، وفيالمنهجية، وفي تنميط وتقييس وتوحيد المصطلحات. والمشكل الذي نعانيه نحن العرب لم نستطع مسايرة المستجدات المصطلحية، إلى جانب عدم ضبطها وتعددها حتى في البلد الواحد.وما يعرف عن الأستاذ أنه خبير مصطلحي لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،فكان يضع المصطلحات ويبدي آراءه في المصطلحات الموحدة قبل أن تنال الشرعية،ونلمس المنهجية التي يعمل بها،وهي الدقة في وضع المصطلح عن طريق الترجمة أو الأشتقاق أو المجاز أو النحت أو التركيب مزجي.ومن هنا كانت المصطلحات التي يضعها تنال شرعية المؤسسات المصطلحية بيسر،كما تجد أعشاشها في الأستعمال ؛وهذه للنكهة الخاصة التي لا

ينفر منها المستعمل،ولا الباحث،وذلك ما أبانته لنا المصطلحات التى حملها (المعجم الموحد لمصطلح اللسانيات)، وما من مصطلح يعرض عليه إلا تلقاه بالنقد و التمحيص لفظا وأسلوبا،فإن كان صالحا سكت عنه، وإن بدا له فيه مأخذ، ؟أمسك به وجهر برأيه فيه.ويمكن الأشارة إلى المساهمات التي أنجزها في هذا المجال،وهي:

* إعادة لمعجم مصطلحات الأعلاميات (عربي-فرنسي)سنة 1972م مطبوع.

* معجم مصطلحات علم اللسان.مطبوع بالرونيو (عربي-فرنسي).

* المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات.وهو معجم صادر عن الأليسكو سنة 1990م وله مساهمات فعالة وكبيرة.

* مسائل في مصطلحات التجويد لفضيلة الشيخ جلال الحنفي و الاجابة عنها:وقد أجاب عن عشرة مسائل ذات صلة بقضايا الصوتيات القديمة،وربطها بالصوتيات الحديثة،بعد الأستعانة بما أنتجته آخر التقنيات في مجال الذبذبات وما ينتج عن ذلك من الأداءات الصوتية، ومختلف التغيرات التي يعرفها جهاز النطق.وهي قضايا تعود إلى مسائل قديمة عالجها المجودون للقرآن الكريم.

2. في الترجمة: لقد حرص الأستاذ على إلا يقتصر جهده على التدريس و المحاضرة و المشاركة في الحياة الثقافية،بل أقبل على الترجمة التي يراها فرض عين؛الأنها من الوسائل الأساسية للرقي اللغوي. ومن هذا المنطلق يرى ضرورة الأهتمام بالترجمة أولا الأنها باب من أبواب التفتح على الأخر، أضاف إلى ذلك أن إتقان لغة زائدة عن اللغة الأصل هي لازمة لكل باحث أكاديمي.ومن هنا يؤكد الباحث ضرورة إقامة هيئات متعددة للترجمة في الوطن العربي،بشرط أن يحصل بينهما التنسيق. ويحث على مسألة تثمين جهود المترجمين، فهم خيول بريد العلم، ويؤكد مقولة طه حسين عندما سئل عن كيفية الرقي باللغة العربية فقال: ترجموا ترجموا،ثم ترجموا.وفي هذه النقطة نشير إلى العمل الهام الذي ترجمة،وهو كتاب (الأمثال الشعبية الجزائرية) للأستاذ قادة بوتارن،فقد أتى الباحث على ترجمة الكتاب الذي يحوي 1010مثلا من الواقع الجزائري،مع ذكر المقصود الذي يضرب من أجله كل مثل،أو الأصل الحقيقي الذي صيغ عليه المثل.والكتاب مطبوع في ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1987م.

3. في الذخيرة اللغوية: انترنت لغوية عربية، تستهدف جميع الألفاظ العربية كموسوعة جامعة، أو هي عبارة عن قاموس جامع للألفاظ العربية المستعملة بالفعل، وتفارق القاموس بمايلي:

-ستكون لها ثلاثة أشكال:

- شكل تسجيل في ذاكرة الحاسوب.
- شكل جذاذة عادية من جهة، ومصغرة (ميكروفيشات كل واحد على 60صفحة من جهة أخرى).
- شكل كتاب عادي.

-تحضر جميع الألفاظ التي وردت لا في المعاجم العربية فقط،بل تلك التي استعملت بالفعل في نص من النصوص التي وصلتنا من أمهات الكتب القديمة، والحديثة، والأثار الأدبية و العلمية و التقنية منذ العصر الجاهلي حتى عصرنا الحاضر،إضافة،إلى المقالات ذات القيمة العلمية المنشورة في المجلات الأدبية والعلمية والبحوث القيمة المعروضة في الندوات والمؤتمرات والموائد المستديرة وغيرها.مع الأشارة إلى انتماء الكلمة أو العبارة إلى الفصيح المسموع عن الفصحاء السابقين أو المولد الذي جاء على قياس كلام -العرب.

-تذكر كل السياقات (الحقيقية) التي ورد فيها اللفظ، ولا يخترع الأمثلة كما تفعله القواميس الحديثة،بل يثبت جميع سياقاته من أمهات الكتب و الأثار الأدبية والعلمية التي ورد فيها اللفظ مع المراجع بدقة، ولا يكتفى بالسياق الواحد.

-ترتب فيها الأوضاع اللغوية (في ذاكرة الحاسوب)شتى الترتيبات.

وللذخيرة اللغوية فؤائد،فهي:البنك الجامع لكل الألفاظ القديمة، والحديثة،بالتركيز على اللغة الفصحى والألفاظ العلمية،تسهل لنا الوصول إلى جذر الكلمة،وإلى استعمالاتها المختلفة وحسب السياقات المتنوعة،وأين استعملت ومتى كان ذلك. ويكفي أن تدق نسقات المطراف —وفي لحظات- يعطينا البنك كل استعمالات اللفظة في كل سياقاتها المختلفة،ويضاف إلى ذلك ذكر المقابل الفرنسي

والأنجليزي، أو ما يقرب منهما وبيان الفارق إن وجد. وهكذا تساعدنا الذخيرة على الدراسة الاحصائية و الكشف عن تواتر الكلمة واستعمالها بالفعل.

4. الباحث الاكاديمي: الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، رئيس المجمع الجزائري للغة العربية، ما يعرف عنه أنه عضو المجامع العربية الأربعة،فهو من الخالدين فله أطراف واسعة فيها، وخاصة في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي ينتمي فيه إلى لجنتي الأصول، والمصطلحات. ومن أوجه نشاطه في هذه المجامع أنه باحث يدلي بآرائه العلمية، ويجهر بها في كل إشكال يطرح،كما يثري مجلاتها بمقالاته العلمية.

وكان يجوب البلدان في خدمة اللغة العربية، فكان بين قوم بغير العربية يفخرون، ولكنه ما بدل تبديلا، فنراه أكاديميا مجددا في عدم تزمته وحرصه على سلامة لغته، فهو مثل شيشرون الخطيب الاتيني رغم تزمته، وحرصه على سلامة لغته لم يتحرج من استعمال ما يحتاج إليه من مفردات اليونانية.كما أنه يحث المجمعيين على ضرورة التفتح على اللغات، واستعمال المصطلحات الأجنبية كلما تستدعيها الضرورة العلمية.

ويدعو في المجامع إلى إعادة النظر في:

- تدوين المسموع بتكييف الحرف العربي ليلبي المتداول في المحيط.
- مسايرة العصر بتوظيف آلياته،والأستفادة منها في تطوير اللغة العربية[1].

(1) . مقاربات منهاجية ،ص154-160.

تعريف السماع اللغوي

- عرفه الفيروزآبادي في معجمه قاموس المحيط:

- السماع: من السمع: وهو حسُ الاذن وما وقر فيها من شيء سمعه، والذكْر المسموع، ويكْسُر كالسَماعِ و يكون للواحد والجمع، ج: اسماع وأسْمُعٌ.(1)

- كما عرفه الرازي في معجمه مختار الصحاح:

- س،م،ع (السمع) سمع الانسان يكون واحد وجمعا كقوله تعالى(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) لأنه الأصل مصدر قولك(سَمِعَ) الشيء بالكسر سَمْعًا و(سماعاً) و (أسامع) و(أسمع) و(أسْمَعَ) و(تَسَمَعَ) سَمَعَ إليه وسمع له كله بمعنى.(2)

- كما عرفه الجوهري في تاج اللغة والصحاح العربية.

سمع: السَمْعُ: سَمْعُ الانسان يكون واحدا وجمعا لأنه في الأصل مصدر قولك: سمعت الشيء سمعاً وسماعاً وقد يجمع على أسماع، وقولهم سماع أب: أسْمَعْ: مثل دراكِ ومتاع والسّمْعُ بالكسر: الضيت والذكر الجميل.(3)

كما عرفه ابن منظور في لسان العرب.

السماع: رجل سمَاع إذا كان كثير الاستماع لما يقال.(4)

وعرفه ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة.

(سَمِعَ): السين والميم والعين أصل واحد وهو ابن... الشيء بالأذن ومن الناس، وكل ذي أذن تقول: سمعت الشيء سمعا. وسمع الذكر الجميل. يقال قد ذهب سَمْعُهُ في الناس، أي صيتهُ.ويقال: سَمَاعْ بمعنى استمع. ويقال سمعت بالشيء اذا اشعته ليتكلم به.(5)

(1) الفيروز أبادي، المحيط، ط8، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، 2005، ص730.

(2) الرازي، مختار الصحاح: (د.ط)، مكتبة لبنان، 1986، ص132.

(3) الجوهري، تاج اللغة والصحاح، (د. ط)، القاهرة، مصر، دار الحديث، ص559.

(4) ابن منظور، لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 181.

(5) ابن قارس، مقاييس اللغة، تح شهاب الدين ابو عمرو، دار الفكر ، بيروت، لبنان، (ط2)، (1418هـ، 1998م).

وعرفه في معجم الوسيط.

السماع الذكر المسموع الحسن الجميل، والغناء وعند علماء العربية خلاف القياس، وهو ما يسمع من العرب فيستعمل، ولكن لا يقاس عليه.(1)

وعرفه الجرجاني في معظم التعريفات: السمع قوة مودعة في العصب المفروش في معتر الصماح، تدرك بها الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماح.(2)

اصطلاحا:

عرفه ابن فارس [ت377هـ] الذي فصله بقوله" تؤخذ اللغة اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنا من ملقن وتؤخذ سماعاً من الرواة الثقات، ذوي الصدق والأمانة ويتقي المطنون.(3)

وتلقف ابن مالك (ت672هـ) هذا الفهم، فزاده إبانة، فوضع الغاية منه أنه يوثق ما نقله حملة اللغة وجماعها من فصيح كلام العرب، ولهجاتها، وفي هذا يؤكد" هو الاعتداد بما قاله الفصحاء الذين يوثق ويطمئن اليهم وكان بعض العلماء يرون أن لغات العرب كلها جديرة بالاعتبار، ولا يصح رد احداها بالأخرى.(4)

وفي هذين التعريفين انتقال إلى الاهتمام بالعامل البشري والعامل الجغرافي في أثناء التعامل مع الظاهرة اللغوية، وقد أسس العرب القدامى هذا المنهج على الخطوات هذا العامل، وحرصوا على تحديد مواطن اللغة السليمة، وهو إجراء علمي أكد عليه سويسر وسماه اللسانيات الخارجية، فيقول في هذا الشأن " إن من يباشر مسألة علاقة الظاهرة اللسانية بالمكان يخرج من مجال اللسانيات الداخلية ويدخل في مجال اللسانيات الخارجية.

(1) معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (ط4) ، مصر، مكتبة شروق الدولية2004، ص449.

(2) شريف الجرجاني، تح: مصطفى أبو اليعقوب، مؤسسة الحسن، دار البيضاء، المغرب، (ط1) ، (2006) ، ص121.

(3)أحمد ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة، ، مصطفى شيومي، مؤسسة بدران، ط1، 1963، ص62.

(4) رشيد حليم، منهج السماع والبحث اللساني، مجلة الأدب والعلوم الانسانية، ماي2005، العدد الخامس، 2005، ص50.

وأنعم بعض اللغويين العرب النظر في أصول هذا المنهج واعتبروه منطلق البحث، وإن اختص بالعربية فيصلح أن يكون لغيرها من اللغات، وذلك مما نبه اليه أحد اللغويين المحدثين حين بين وظائفه قائلا:" السماع عملية صعبة فهو مجموعة من الأعمال تبدأ بالتأملات وتنتهي بالكشف عن القواعد، ويقول بين البدء والانتهاء بالتصنيف والتقسيم والاستقراء.[1]

السماع اصطلاحي: إن السماع هو النقل المادة اللغوية كما استعملها العرب الناطقون بها، خدمة للغة و البحث اللغوي سواء أكان ذلك بمشافهة العرب أنفسهم أم بالأخذ عَمَن سَمِع منه.[2]

والسماع أيضا هو أن تؤخذ اللغة عن العب الخلص الذين يوثق بكلامهم أو هم الذين عاشوا قبل منتصف القرن الثاني للهجرة بالنسبة إلى العرب الأمصار، وقبل نهاية القرن الرابع بالنسبة إلى الأعراب من أهل البادية.[3]

المقصود بالسماع ما نقله العلماء من نصوص لغوية من شروطها المحددة واعتبروها من أصول اللغة ومن مصادرها.[4]

أما عند ابن جني فقد ورد مصطلح السماع في مواضع كثيرة من الخصائص فبدأ لنا خلال كلام إبن جني: (هو ما نطق به العرب الفصيحة بلغتنا المتلقى بالقبول والاتباع الصادر عن ثقة المأنوس بلغة. وقوة طبيعته)[5]

وعرفه بعض الصرفيين السماع في الاصطلاح: (ما تقرّر به وجوه شيء بالوقف) بحيث لو قُطِع النظر عن الوقف لم يَقُم به ضابطُ يشعر به ويرشد إليه وخلافه القياس).

(1) نفس المرجع، ص50.

(2) ابراهيم الشيخ عيد، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الانسانية، مجلد19، عدد ثاني2015، ص35.

(3) نفسه المرجع، ص35.

(4) محمد خان، مدخل أصول النحو د.ط، بسكرة، الجزائر. مطبعة جامعة محمد خيضر، 2012، ص28.

(5) سليم عورايب، مصطلحات علم أصول النحو من خلال ابن جني، رسالة ماجستير' جامعة ورقلة، ص112.

نستنتج مما سبق أن السماع أو النقل دليل من أدلة النحو التي ترتكز عليها أصوله. فقد تعددت تعريفات غير أنهم اتفقوا على أن السماع هو نقل كلام العرب الفصيح، صحيح السند وهو خلاف القياسْ.

السماع بمصطلح السيوطي هو النقل بمصطلح إبن الأنباري فالمصطلحات مترادفات ولعلّ ابن الأنباري أثر " النقل" لي لمح إلى أن مصادر النحو نوعان: مصادر منقولة، ومصادر معقولة، أما المنقول فيشمل القرآن الكريم وحديث النبوي الشريف وما نقل من كلام العرب من شعر ونثر، إذا الأمر فيه منوط بالنقل دون تدخل للعقل فيه وأما المعقول فالقياس واستصحاب الحال ونحوهما.

ولعله أثر أيضا مصطلح النقل السمّاع قد يشعر بأن ما نقله الناقل قد سمعه من مصدره الأصلي دون فاصل أو فواصل فالنقل أعم بهذا المعنى واشتمل إذا يشمل السماع المباشر وغير مباشر.

والسماع أو النقل هو الأصل الأول من أصول النحو العربي ويقابله في أصول الفقه والكتاب والسنة أعرفه ابن الأنباري بقوله " إعلم أن النقل هو كلام العربي الفصيح المنقول نقل الصحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حد الكثرة. وعلى هذا يخرج ما جاء من كلام غير العرب من المولدين وغيرهم وما جاء شاذا وفي كلامهم نحو الجزم بـ (لن) والنصب بـ (لم) كما حكى اللحياني.[1]

وزاد السيوطي الأمر توضيحا فحدد معنى السماع بقوله(وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته، فيشمل كلام الله تعالى وهو القرآن وكلام نبيه صل الله عليه وسلم،و وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظما ونثرا عن مسلم أو كافر فهذه ثلاثة أنواع لا بد فيها من الثبوت.[2]

(1) محمود نحلة، أصول النحو، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، دار المعرفة، 2002، ص31-32.

(2) محمود نحلة، أصول النحو العربي، ص32.

أقسام السماع:

لما لم يكن السماع في درجة واحدة من القوة والثقة، عند السلف انبروا إلى تقسيمه إلى قسمين: متواترا وآحاد.

أ. المتواتر: وهو القرآن الكريم، وما تواتر من السنة، وكلام العرب من شعر ونثر.[1]

وهذا القسم دليل قطعي من أدلة النحو، يفيد اليقين، ولا مجال للشك فيه.[2]واختلف العلماء في ذلك العلم، فذهب الأكثرون إلى أنه ضروري واستدلوا على ذلك بأن العلم الضروري هو الذي بينه وبين مدلوله ارتباط معقول، كالعلم الحاصل من الحواس الخمس: السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس؛ وهذا موجود في خبر التواتر، فكان ضروريا. وذهب أخرون إلى أنه نظري، واستدلوا على ذلك بأن بينه وبين النظر إرتباطا، لأنه يشترط في حصوله نقل جماعة يستحيل عليهم إتفاق على الكذب دون غيرهم، فلما اتفق علم أنه صدق[3]. فهذا شرط من شروط التواتر وهو أن يبلغ عدد قلة إلى حدّ لا يجوز فيه الإتفاق على الكذب.

حيث ذهب بعض العلماء أو قوم إلا أن شرطه أن يبلغوا سبعين وذهب أخرون إلى أن شرطه أن يبلغ أربعين أو ذهب اخرون أن يبلغوا أثني عشر، وذهب آخرون إلى أن شرطه يبلغوا خمسة[4] وصحيح عند ابن الأنباري هو الأول.

(1) محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، جامعة محمد خيضر، دار الهدى للطباعة والنشر، عين كمليلة، الجزائر، (د. ط). (د. ت) ، ص31.

(2) نفس المرجع، ص31.

(3) ابن الأنصاري، لمع الأدلة، تح سعيد الأفغاني، (د. ط)، مطبعة جامعة السورية، سوريا، 1957، ص83،84.

(4) المرجع نفسه، ص84،85.

ب. الأحاد:

وهو ما تفرد بنقله بعض أهل اللغة، ولم يوجد بشرط التواتر[1]، وهو دليل يؤخذ به في اللغة على أشهر الآراء، ولكن ليس بدليل قطعي، بل هو دليل ظنّي، ولا يقوى إلى درجة اليقين إلا بقرائن أخرى تعضده[2]، ويشترط في نقل الآحاد:

أ. منتميا إلى القبيلة التي حددت من بين الست قبائل (تيم، أسد، قيس، هذيل، بعض كنانه، بعض طيّ).

ب. أو راويا إلى إحدى اللغات المرتبطة بتلك القبائل.

ج. غير متأثر بلغات أجنبية.

د. منتميا للفترة الزمنية التي حددت للاحتجاج(150 قبل الإسلام و150 بعده).

هـ. عادلا، رجلا كان أم امرأة، فإن كان فاسقا لم يقبل نقله، وتقبل (لغة الفاسق عن مشهور). وهذا الشرط بقي نظريا فقد اتسعت الرواية إلى كثير من أهل القرف والبدع والأهواء.

غير أن هناك من قسم السماع إلى عدة أقسام، يفيد منها الباحث عند الترجيح بعض المسائل الخلافية، وهذا التقسيم قائم على ثلاث اعتبارات

الاعتبار الأول: اعتبار الرواية(السند).

الاعتبار الثاني: اعتبار طرق وتحمل أو الأداء.

الاعتبار الثالث: اعتبار المادة المعنوية المسموعة والمروية.

أولا: قسموا السماع باعتباره السند: صحيح وضعيف، ومتواتر وأحادي ومرسل ومنقطع ومنفرد ومقبول ومردود.

ثانيا: وقسموا السماع باعتبار طرق تحمل روايته وأدائه إلى ست أقسام[3]:

(1) ابن الانباري، لمع الأدلة، تح. سعيد الأفغاني، (د ط) ، مطبعة جامعة السورية، سوريا، 1957، ص84.

(2) السيوطي المزهر، (ج1) ، (ط3) ، دار التراث، القاهرة، مصر،2008، ص113.

(3) المزهر، (ط3) : ص113-135.

أ. السماع من لفظ الشيخ أو العربي، وهو أن يسمع الراوي مما يروى عنه مباشرة، دون واسطه.[1]

ب. القراءة على الشيخ: وهو أن يقرأ الراوي مروياته على الشيخ، وهو يستمع.[2]

ج. السماع على الشيخ بقراءة على غيره: وهو أن يسمع الراوي مروياته في اثناء قراءة غيره على الشيخ.(3)

د. الإجازة: وهذا النوع يقع في رواية الكتب والأشعار المدونة وصيغته، أن يقول الراوي: " أجاز لي فلان"، ويتم ذلك عندما يقول الشيخ: " إرْوِ عني ما أخذته من حديثي". ومثال ذلك، قول ابن دريد في أماليه: " أجاز لي عمّي عن أبيه، قال أخبرني الشرّقي، أبو يزيد الأودي، قالا: أوصى الأخوة بن مالك...." (4)

هـ.المكاتبة: وهي أن تكون الرواية عن طريق الكتابة. ومثال على ذلك، قول ثعلب في مجالسه: " بعث بهذه الأبيات إلى المازني وقال: أنشدنَا الأصمعي:

و. وقائلةٍ ما باك دَوْسَرٍ بعدنَا *** صحا قلبُه عن آل ليلى وعن هذ (5)

ز. ثالثا: قسموا السماع باعتبار المادة اللغوية المسموعة إلى عدة أقسام: وهي كالتالي: فصيح، ضعيف، منكر، متروك، رديء، مطرد، شاذ، غريب، مستعمل، مهمل، مفرد، معرّب، مُولّد.[6]

(1) المرجع نفسه، ص131.

(2) السيوطي، المزهر، (ج1)، مكتبة دار التراث ، القاهرة، مصر، طبعة(3) ،2008، ص.....

(3) مرجع نفسه، ص127.

(4) مرجع نفسه ، ص128.

(5) الأصمعيات، ص170.

(6) المزهر ، ص146-253.

شروط السماع:

أولا: الناقل: اشترط العلماء في الناقل أن يكون

– منتميا إلى القبيلة التي تنتمي إلى القبائل الفصيحة الستة (تميم، أسد، قيس، بعض من كتانه، طي، قريش).

– غير متأثر بلغات غير فصيحة كلغات التخوم والأعاجم(1)

– عدلاً رجلا كان أو امرأة أي ليس فاسقا أو ممن يتدين بالكذب والشروط لم تتحقق كلها عند كل النحاة، وإذ كانت العدالة شرطا لازما فهي بشرط في الراوي وليس شرطا في العربي القائل.

– متواتر أي يبلغ عدد النقلة حداه يجوز فيه على مثلهم الكذب كنقلة القرآن والسنة وكلام العرب، وهذا دليل قطعي من النحو.

ثانيا: المنقول: يشترط في المنقول أن يكون:

– منتميا إلى بيئة الفصاحة في الزمان والمكان.

– صحيح السند فإن انقطع فهو المرسل وذهب بعض العلماء إلى الاستشهاد بالمرسل.

– معلوم الناقل فإن جهل فهو مجهول، وقد أخذ به الكثير من العلماء أسوة بما ورد في كتاب سيبويه (ورد فيه المجهول).

– خاليا من لغة الحواضر أو التخوم أو الأعاجم.

– موافق للقياس، فإن وافقه فهو المطرد وإن خالفه فهو الشاذ. وحالاته أربعة أطراف:

أ. مطرد في القياس والسماع معا كرفع الفاعل والمبتدأ، وهذا أقوى مراتب الكلام.

ب. مطرد في القياس أو شاذ في السماع، نحو الماضي يذر ويدع.

ج.مطرد في السماع شاذ في القياس، نحو استحوذ، استصوب والقياس الإعلال (استحاذ واستصاب).

(1) ابن جني، الخصائص، ج2، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (د. ط) ، ص12.

د. شاذ في القياس والسماع كقولهم: ثوب مصوون وخرس مقوود، والسماع والقياس مصون ومقود.

وما من شاهد لغوي دخله الاحتمال إلا سقط به الاستدلال وما بين النحو العربي إلاّ على الأكثر والأقيس، فقد قال رجل للخليل: أخبرني كما وضعت مما سميت عربية: أيدخل فيه كلام العرب كلّه؟ فقال: كيف تضع فيما خالفتك فيه العرب، وهم وجه؟ فقال: احمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات أي لهجات.(1)

ثالثا: المنقول إليه:

وهو اللغوي أو النحوي أو دراسة اللغة عموما، وكتب التراث 6 تخصص فصلا له، و6 تحدد ما يشترط فيه بصفة مستقلة، إنما يمكن أن نستنتج ذلك مما هو مثبوت في مؤلفاتهم واهم شروطه.

أ. الكفاءة العلمية.

ب. القدرة على الاستنباط.

ت. الحذر و الاحتياط.(2)

(1) أحمد أمين، منحنى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط10)، (ج2)، ص259.

(2) محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، (دط)، 2005، ص34.

الفصل الثاني

المصادر اللغوية للسماع

المصادر اللغوية للسماع

اعتمد النّحاة في سماعهم على ما ثبت من كلام العرب وعلى ما يوثق في فصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن وكلام نبيه صل الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثة الرسول صل الله عليه وسلم وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدّين نظما أو نثرا عن مسلم أو كافر.

أولا: القرآن الكريم:

هو الوحي المنزّل على محمد صل الله عليه وسلم باللفظ العربي الفصيح المنقول إلينا بالتواتر، والمجمع على قراءاته بالطرائق التي وصلتنا، ولقد أجمع العلماء على ضبطها وتحريرها متنا وسندا، واتفقوا على الاحتجاج به، وبقراءاته إذا توافرت فيها الشروط المجمع عليها، والقراءات:هي اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفية أدائها من تخفيف وتشديد وزيادة ونقص وتغيير حركة.[1]

إنّ القراءات القرآنية التي ضبطها العلماء مروية عن الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين وهم من يحتج بكلامهم كأبي عمرو بن العلاء، والكساتي، ويعقوب الحضرمي، والقراءة الشاذة لا يقدح في الاحتجاج بها في اللغة، فمخالفة الرسم بزيادة كلمة أو نقص لا تؤثر في صحة بناء القواعد عليها. فالقراءة سنّة متّبعة يجب قبولها، والمصير إليها والاحتجاج بها، كان أبو حيّان من أشد المتحمسين للدفاع عن القراءات، قال:« وكثير من النحاة يسيئون الظنّ بالقراءة ولا يجوز لهم ذلك»[2].

لقد قرأ نافع وابن عامر وهما من السبعة بهمز(معائش) في قوله تعالى:« وجعلنا لكم فيها معايشَ» الأعراف10/7.مفردها معيشة، والياء فيها أصلية والأصلي لا يُهمز، بل يهمز الزائد، مثل صحيفة وصحائف، سريرة وسرائر، وقد خطأ هذه القراءة كثير من النحّاة منهم أبو عثمان المازني، وأبو العبّاس المبّرد، وأبو جعفر النّحاس، وجعلها سيبويه همزا على التشبيه، تشبيها بصحائف، [3]، لأن الحرف الأصلي يحمل على الزائد، فيعامل معاملته.

وقرأ أبو جعفر وشيبة الأعرج «ليُجزي قوماً ما كانوا يكسبُون» الجاثية14/45 وقد روي ذلك عن عاصم، قال أبو عمرو: هذا لحن ظاهرٌ، وقال الكسّائي معناه ليجزي الجزاء قوما.

(1) محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية، ص74.

(2) للفيروزآبادي، قاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(3) البحر المحيط271/4.

وعلى لغة إقامة الجار والمجرور مقام نائب الفاعل مع نصب المفعول به وهو أولى بالنيابة جاء قول جرير في جاء الفرزدق:

ولو ولدت قفيرةُ جروَ كلبٍ لسُبَّ بذلك الجروِ الكلابّا

فنائب الفاعل هو الجار والمجرور(بذلك الجرو).، و (الكلاب) مفعول به، وهو أولى بالنيابة

يقول الأمدي(ت 631هـ) في الإحكام: (أمّا حقيقة الكتاب، فقد قيل فيه: هو ما نُقل إلينا بين دفّتي الصحف بالأحرف السّبعة المشهورة نقلاً متواترا) [1]، أمّا الزركشي(ت794هـ) فيقول: (القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزّل على محمد صل الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها)[2]، ويرى ابن الجزري(ت833هـ) أنّ عِلم القراءات (علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو ناقليه)[3].

والقرآن الكريم هو الأصل الأوّل والباقي للتواتر، حيث إنه أحيط بالعناية الفائقة والنّقل الصّحيح وتحقّق فيه شرط التّواتر تحقّقا لا ريب فيه، ولا نزاع حوله، ومن هنا كان القرآن الكريم المصدر الأول للدراسة النّحوية، فهم لا يختلفون في تأصيل قواعد النّحو على أساس منه، ولا يختلفون في الاستشهاد به، فهو أعلى درجات الفصاحة والبيان ولا مجال للتردد في الاحتجاج به كما لا يمكن أن يخضع للنّقد أو التجريح فيه فهو مقصد البلغاء حين ينشدون الكلام الجميل في أبهى صوره، ويتطلعون إلى العبارة الصّحيحة في أقوى أشكالها وهو أولى بالاحتجاج من غيره، لأنّه أفصح اللغات وأسلمها، يقول ابن خالويه(ت370هـ): (قد أجمع النّاس جميعا أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غير القرآن لا خلاف في ذلك)[4]، ويقول الرّازي(ت606هـ): (إذا جوّزنا إثبات اللغة

(1) علي بن أبي علي الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ط2، بيروت: 1400هـ، دار الكتب العلمية، ص20.

(2)جلال الدّين السيّوطي ، الاتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ط)، القاهرة ،1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص273.

(3) محمد بن محمد بن الجزري.، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمّد الضبّاع، (د. ط) ، مصر (د. ت) المكتبة التجارية، ج1، ص12.

(4) أبو زكرياء الفّراء، معاني القرآن ، تح، محمد علي النجّار، د ط، القاهرة، 1980، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص14.

بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقرآن أولى)[1]فلا يمكن لأحد أن يخطّئ القرآن ولا يمكن للنحاة أن يُخضعوه لأقيستهم، إنّما اختلاف القراءات راجع لاختلاف الألسنة، وعلى هذا الأساس فلا نقاش في أن القرآن هو الأصل في الاحتجاج في اللغة والنّحو، وذلك لما فيه من أساليب لغوية راقية بيانا وتركيبا عن مضامينه ومفاهيمه التشريعية والمعرفية والروحية، ولا غرابة في أن يدعو الدكتور طه حسين إلى إعادة هيكلة الدّرس النّحوي بالاستناد إلى القرآن الكريم، ليكون مطابقا لما فيه، فهو يرى أن النحاة قد أساء و —غير عامدين– إلى القرآن حين استشهدوا على صحّة ما لم يفهموه من أساليبه، وكان الحق عليهم أن يحتجوا بالقرآن على صحّة الشعر.

وفي درجة الاحتجاج به، نجد أنّ البصريين قد بنوا كثيرا من أموالهم على نصوص قرآنية، وإذا أمعنا النظر فيما أورده سيبويه من شواهد القرآن الكريم ظهر لنا أنّ الرجل يعتد بالقراءات القرآنية اعتدادا واضحاً، وقد أحصيت شواهد القرآن في متاب سيبوية من خلال فهرس (كتاب سيبوية) الذي وضعه الأستاذ"أحمد راتب النفاخ" فوجدت عدتها ستة وتسعين وثلاثمائة شاهد، وشواهد القراءات منها نحو سبعة وخمسين ومائة شاهد أي أنّ نسبها تضل تقريبا إلى 40% من مجموع الشواهد القرآنية، وهي نسبة عالية تبرز اهتمامه بالقراءات واعتماده عليها.[2]

على أنّ بعض الباحثين رأيا آخر في موقف سيبوية من القراءات، إذا اتخذ من رفض سيبوية استعمالات لغوية معينة، ونقده بعضها، دليلا على معارضة سيبوية الصريحة حينا والخفية أحيانا للقراءات، فالدكتور أحمد مكي الأنصاري يورد ثلاث قراءات يزعم أنّ سيبوية وقف منها موقف المعارضة الصريحة.

(1) عبد الوهاب حمودة،القراءات واللهجات، ط2، القاهرة،1984، مكتبة النهضة المصرية، ص27.

(2) محمود أحمد نحلة، أصوال النحو العربي، كلية الآداب، دامعة الاسكندرية، جامعة بيروت العربية، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص34.

أولاها: قراءة النصب في قوله تعالى:" أَمْ حَسِبَ الذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِئَات أن نَّجْعَلَهُم كالذينَ آَمنُوا وعَمِلوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُم ومَمَاتُهم سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"[1] بنصب سواءًا ويقول «ثم جاء سيبوية- رحمه الله- فوصف قراءة النصب بالقبح والرداءة وهي قراءة سبعية كما ترى».[2]

الثانية: قراءة إبدال الهمزة في الوصل قوله تعالى: " وقَالُوا يَا صَالِحُ ائتنا بما تعدنا إن كُنت من المرسَلِينَ"[3]. وأورد قول سيبوية:" زعموا أنّ أبا عمرو قرأ يا صالح ايتنا" جعل الهمزة ياءًا، ثم لم يقلبها واواً، لم يقولوا هذا في الحرف الذي ليس متصلا، وهذه لغة ضعيفة".

الثالثة: قراءة الرفع في قوله تعالى: " ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذين أحسنُ" [4]

قال الدكتور الأنصاري:" أمّا سيبوية ومن لف لفه من البصريين والمتبصرين فإنّهم يهاجمون هذه القراءة ويرمونها بالقبح والضعف والشذوذ..."[5]، وأورد قول سيبوية: " واعلم أن كفى بنا فضلا على من غيرنا" أجود وفيه ضعف، إلاّ أن يكون فيه (هو) لأنّ هو من بعض الصلة وهو نحو: مررت بأيّهم أفضل، وكما قرأ بعض الناس هذه الآية: " تماما على الذين أحسنُ".

ولعل النحاة المتأخرين عن العصر الأوّل كانوا كثيري الاستشهاد بالقرآن الكريم الذي نال عندهم خطوة منقطعة النظير، وذلك ما ذهب إليه ابن مالك (ت672هـ) وابن هشام الأنصاري(ت761هـ)، حيث استشهد في كتبه بكّم هائل من الآيات القرآنية، فهو في شرح شذور الذّهب واستشهد بـ(262) آية، أمّا في مغني اللّبيب فقد استشهد بـ (1980) آية وفي قطر النّدى وبلّ الصدّى بـ (300) آية، فضلا عن تكرارها في أبواب مختلفة.[6]

أمّا عن القراءات فقد تباين موقف النحاة منها وذلك لما فيها من اختلاف، على أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فقد روي عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صل الله عليه وسلم أنه

(1) سورة الجاثية- الآية-21-.

(2) أحمد مكي الأنصاري ،سيبوية والقراءات، القاهرة1972، ص17.

(3) سورة الأعراف- الآية-77.

(4) سورة الأنعام الآية-154-

(5) أحمد مكي الأنصاري، سيبوية والقراءات ، ص27.

(6) خير الدّين هبال، الأحكام النحوية عند البصريين من خلال المدوّنة اللغوية الفصيحة، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير، ص29.

قال: «أَقْرَأَني جِبْرِيلُ على حرفٍ فراجَعتهُ، فلم أَزَلْ أستزْيدُهُ و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أَحْرُف» وقد اختلف العلماء في معنى الحرف هنا إلى أربعين قولاً كما ذكر السيوطي في المزهر، ولعل القول المختار في المراد بالأحرف السبعة هو سبع لغات من لغات العرب متفرقة في القرآن كله كما قال أبو عبيد: (اللّغات متفرقة فيه، وبعض اللّغات أسعد من بعض وأكثر نصيباً).[1]

لقد وضع العلماء ضوابط للقراءة التي يؤخذ بها، فقرروا أنّ (كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ انكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت من الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف[2]. وهي الصفات الواردة التي أوردها ابن الجزري:

1. موافقة العربية ولو بوجه من وجوه النّحو.
2. موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
3. صحة السّند.

فمن حيث موافقة العربية تكون القراءة إمّا قوية أو ضعيفة، وهي صحيحة إذا استوفت الشرطين الآخرين، ومن حيث موافقة المصاحف العثمانية تكون إمّا مطردة أو شاذة، أمّا من حيث صحّة السند فتكون القراءة إمّا متواترة أو آحاد أو باطلة، فالبطلان يكون باختلال السند وهو أمر مرفوض.

وفي هذا الصدّدألفّ ابن جنّي كتابا في القراءات الأخرى عدا السّبعة، والتي عدّها العلماء آنذاك شاذّة، فكان كتابا" المحتسب تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها وقد قسّمه إلى قسمين:

1. ما اجتمع أكثر قرّاء الأمصار، وهي القراءات التي ضمنّها ابن مجاهد كتابه.

(1) السيوطي، الاتقان ،ج 1، ص164.

(2) ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع، القاهرة، (د. ط) ، ص9.

2.ما تعدّى ذلك فعدّه أهل زمانه شاذا، أي خارجا عن قراءة السّبعة، وابن جني نبّه في كتابه إلى أن القول بالشذوذ لا يعني ضعف القراءة في الرواية والسند، أو في العربية، يقول: " إلا أنّه – ما شذّ عن السبعة– مع خروجه عنها، فهو نازع بالثقة إلى قرّائه، محفوف بالرّوايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيرا منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع علي"[1] وفي قوله توسيع لحدود الأخذ بالقراءات.

ومن هذا المنطلق فإنه قد يكون من السبعة ما هو شاذ في العربية استنادا إلى تعريف ابن الجزري الذي سبق ذكره في رسم وضبط القراءات وتمييزها كما قد يكون من غير السّبعة ما هو أقوى، يقول" أبو شامة" (إنّ القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم، مقسمة إلى المجمع عليه والشّاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه من قراءاتهم تركن النّفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم).[2]

لقد سبق وأن ذكرنا أنّ علماء اللّغة قد نصّوا صراحة على أنّ القرآن سيّد الحجج كما أنّ قراءاته كلّها سواء أكانت متواترى او أحاداً أم شاذّة لا يصح ردّه أو الجدال فيه حتى وإن كانت القراءة مخالفة للقياس وجب قبولها، حيث يجب قبول القراءة الصحيحة أيّا كانت، دون أن يتحكم فيها تقعيد أو قياس، يقول البغدادي(ت1093هـ): (أمّا ربّنا تبارك وتعالى، فكلامه – عزّ اسمه– أفصح كلام وأبلغه، ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذّه)[3]، أمّا السيوطي فيرى أنه كل ما ورد جاز الاحتجاج به في العربية سواء أكان متواترا أم شاذا، وفي هذا يقول: وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشّاذة في العربية، اذ لم تخالف قياسا معروفا، بل ولو خالفته يُحتج بها في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه، نحو: استحوذ) [4].

(1) أبي الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ط2، بيروت: د ت، دار الكتب العلمية، ج1، ص33.

(2) ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، ج1، ص09-10.

(3) البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب– تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979، ص23.

(4) السيوطي، الاقتراح في علم النحو. تح اسماعيل الشافعي، ص24.

إنّ ما يؤكد التغاضي عن اعتماد القرآن وقراءاته في استقراء الأحكام النّحوية عند نحاة البصرة خاصّة، هو كتبهم التي نجدها محشوة بالشعر وشرحه والتعليق عليه، مع أنّ هؤلاء النحاة أنفسهم يعترفون أنّ القرآن الكريم هو أصح وأفصح ما في المدوّنة العربية يقول الرّازي تعليقا على إثبات قاعدة العطف عل الضمير المتصل المجرور: ورد وذلك في الشعر، وأنشد سيبوية:

فَالْيَومَ بتَّ تهجُونَا وتَشْتُمُنَا *** فاذْهبَ فما بِكَ والأيَّامِ مِنْ عَجَبِ

ثم يقول: (والعجب من هؤلاء النحاة أنّهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين المجهولين ولا يستحسنون اثباتها بقراءة حمزة ومجاهد أنهما من أكابر السّلف في علم القرآن)[1] لأنّ القرآن بالاحتجاج أولى.

ومعنى هذا أن القرآن والقراءات بينهما تباين وتغاير حيث يمثل القرآن الأصل وتمثل القراءات الفرع [2]أو طرق أداء ذلك الأصل، كما هو الحال بين اللغة واللهجات وعلى هذا فإننا عندما نتناول موقف النحاة من الاحتجاج بالقرآن والقراءات القرآنية العربية[3]، حيث نجد أنّ السيوطي نبه في كتابه الاقتراح" على هذه الفكرة، إذ يقول: (كان قوم من النحّاة المتقدّمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونها إلى اللحن)[4] وهم مخطئون في ذلك فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربي، ولعلّ ما صوّغ للنحّاة تخطئة القرّاء ما روّي عن عثمان بن عّفان رضي الله عنه أنّه لما عُرضت عليه المصاحف قال: " إنّ فيه لحنا ستقيمه العرب بألسنتها" والحديث المرويّ عن عروة عن أبيه عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنهم قال: (سألت عائشة عن لحن القرآن في قوله تعالى: " قالوا إنّ هذان الساحران يريدان أن يُخْرِجَاكُم مِن أرضِكُم بسِحرِهِما ويَذْهَبَا بِطَرِيقتكُمْ المثلى" [5]، فقالت: (يا ابن أختي هذا

(1) محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ط3، القاهرة: 1988، مطبعة الشرق، ص105.

(2) أصول النحو العربي عند السيوطي من خلال كتابه الاقتراح في علم أصول النحو، مذكرة لنيل درجة ليسانس، 1432-1433هـ- 2011-2012 ، ص62.

(3) الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1 ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي، ط2، (1976هـ) ، ص318.

(4) السيوطي، الاقتراح، ص24-25.

(5) سورة طه، الآية-63-

عمل الكتّاب أخطأوا في الكتاب) فإماّ حديث عثمان فهو ضعيف، وأمّا حديث عائشة فهو صحيح على إسناد الشيخين.وموقف النحاة البصريين من القراءات يحتاج فيما نرى إلى تفسير، ولا تفسير له عندنا إلا بثلاث:

إحداهما: تشدّهم في شرط موافقة العربية، لأنّ مخالفة هذا الشرط تجعل القراءة عندهم ضعيفة، وهم حين يتصدون للتقعيد للعربية أغنى بالقوى الثابت منها عن الضعيف، وإذا كانت القراءة الموافقة للعربية، ولو بوجه، تؤدي إلى تعدد الأوجه النحوية فأحرى بما خالف العربية أن يؤدي إلى كثير من الخلط والاضطراب.

الثانية: أنّ القراءات السبع عند بعض المحققين لم يثبت تواترها عن الرسول صل الله عليه وسلم بل تواترها ثابت عن السبعة رضوان الله عليهم، يقول الزركشي: " والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أمّا تواترها عن النبي صل الله عليه وسلم ففيه نظر.[1]

ويقول أبو شامة فيما ينقل ابن الجزري عنه: " فلا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزي إلى واحد من هؤلاء السبعة، ويطلق عليها لفظ الصحة، وأنّها هكذا أنزلت إلاّ إذا دخلت في هذا الضابط.... فإنّ الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف، لاعمن تنسب إليه".[2]

الثالثة: ورد في البرهان للزركشي أنّ جماعةً منهم الزمخشري ظنوا القراءة اختيارية لا توقيفية[3]، تدور مع اختبار الفصحاء، واجتهاد البلغاء، ولعلّ هذا فيما تظن، هو الذي جعل بعض النحويين يبيحون لأنفسهم اختيار ما رأوه موافقا للعربية مستكملا لشرائط الفصاحة والبلاغة، وردّ ما عداه.

لكن ما يؤخذ عليهم حقًا هو غضهم من شأن القرّاء، واجتراؤهم على وصف بعض القراءات، كما رأينا بالقبح، والشذوذ، والخطأ، وبأنه معيب في الإعراب معين في الأسماع، وكان يكفيهم- إن لم يكن بدٌ من ذلك- أن يغفلوا ذكر القراءات التي تعارض قواعدهم كما فعل أخ لهم من قبل .

أمّا الكوفيون وابن مالك والسيوطي فاختلفوا موقفا عن البصريين فقد أخذوا بالقراءات جميعا، واحتجوا بها فيما له نظير في العربية، فإن لم يكن له نظير ردّه بعضهم كما رأينا عند الفرّاء، وأباحه

(1) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص319.

(2) ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، ص9-10.

(3) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص321.

بعضهم وبنوا عليه قواعد وأحكاما فقد قبلوا قراءة ابن عامر" وكذلك زّيِّنَ للكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم" وجوزوا على أساس منها الفصل بين المتضايقين بغير الظرف والجار والمجرور[1]

كذلك وصف البصريون قراءة عبد الله بن مسعود: " وإذْ أخذنَا ميثاقَ بني إسرائيلَ لا تعبدونَ إلاّ الله" [2]، بالشذوذ، على حين قبلها الكوفيين وأجازوا على أساس منها إعمال أنّ في الفعل وهي محذوفة من غير بدل.[3]

ومن ذلك رفض البصريين قراءة ابن عامر: " ولا تتّبعانْ" بسكون النون واحتجاج الكوفيين بها في جواز توكيد الفعل المسند إلى ألف الاثنين بنون التوكيد الخفيفة، مع أنّها قراءة تفرّد بها ابن عامر.

ولقد قبل ابن مالك ماردّه النحويين من قراءة حمزة: " واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام"النساء وأجاز على أساس منها العطف على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر، وكذلك كان موقفه من قراءة ابن عامر" قتل أولادهم شركائهم" وقراءة حمزة" ثم ليقطع" إذ قبل كلا منهما واعتمد عليه في وضع القواعد والأحكام.[4]

(1) ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، ص431.

(2) سورة البقرة- الآية-83-

(3) ابن الأنبار، الإنصاف، ص560-564.

(4) السيوطي، الاقتراح ، ص15.

ثانيا: الحديث النبوي الشريف

الحديث فعيل من "حَدَثَ حُدُوَثة وحَدَآثة [1].وهو في اللغة له عدة معان:

1-الجديد من الأشياء وهو نقيض القديم[2].

2-الخبر، يأتي إلى القليل والكثير،ويجمع على أحاديث على غير قياس[3].

ويرى أبو هلال العسكري (395):"أن الحديث في الاصل ؛هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك، وسمي حديثا؛ لأنه لا تقدم له، وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به "[4].

لكن يقصد به في علم أصول الحديث: كلّما أثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم)من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة –كتحنته في غار حراء – أم بعدها.وقد أدخل بعض العلماء في مفهومه: ما كان من أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم ولكن المشهور أن يقَيَد ذلك فيما لو أريد به غير النبي (صلى الله عليه وسلم).

وقد يستعمل بعض الألفاظ مرادفه للحديث:كلفظ السنة،والخبر،والأثر[5].

وأما الحديث كمصدر إثبات اللغة والقواعد النحوية العامة في أصول النحو؛ فيقصد به: كلام رسول الله(صلى الله عليه وسلم) دون سواه، فيخرج بدلك أفعاله وتقريراته؛ لأن ذلكما لا تعني كلامه (صلى الله عليه وسلم)،بل هو حكاية غيره.ويخرج منه-أيضا –ما جاء عن الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال؛ الأن هذه الأحوال لا تعني كلامه (صلى الله عليه وسلم)،بل تعني كلام غيره.

وقد أدخل بعض الباحثين في هدا المفهوم:ما كان يحكي أقواله،أو أفعاله،أو أحواله (صلى الله عليه وسلم) من عبارات،وكذالك ما احتجّ به النحاة من أقوال أهل البيت[6]. وهو اللفظ الذي ثبت

(1) . للفيروزا بادى: القاموس المحيط،(ح د ث) الهيئة المصرية العامة للكتاب1/267

(2) . الخليل بن أحمد الفراهيدي :العين ،177/3.

(3) . الصحاح 287/1.

(4) . ابى هلال العسكري :الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، د ط،دت،ص28.

(5) . المرجع نفسه:ص28-29.

(6) . سعيد الأفغاني ،في أصول النحو :، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دط ،1414ه/1994م ص46.

من عند الرسول (صلى الله عليه وسلم)لا يتقدمه شئ بعد كلام الله[1].وهو المصدر التالي لكلام الله في مجال الحياة الدينية،والتشريع الإسلامي،وهو كذلك –بعد كلام الله –أفصح الكلام وأرقاه منزلة في البلاغة،وأغزره مادة وأوسعه في الثراء اللفظي ؛ وما ذلك إلا أن النبي الأمي (صلى الله عليه وسلم) ما كان له ليتكلم إلا بأرقى اللغات وأقواها وأحسنها تركيبا وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته تلك فذلك لقصد الإعجاز وإفهام أصحاب هذه اللغة بأسرع وسيلة،ولا شك أن هذا تعليم من الله له.

ولما كانت للحديث النبوي هذه المكانة الدينية و اللغوية والأدبية،حُقَّ له أن يحتل المرتبة الثانية،التالية للقرآن الكريم في استنباط القواعد والنحوية،وإثباتها،وتقريرها.

يُقصد بالحديث النبوي الشريف أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم،وما أمر به أن يكتب كرسائله إلى ملوك الأرض في عصره، أو كعهود ومواثيق بينه وبين خصومه من العرب، وقد أجمع العلماء على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة.

وأن أقواله حجة في اللغة إذا ثبت أنها لفظُ النبيِّ نفسِه، ولا يتقدمه في باب الاحتجاج في هذه الحال إلا القرآن الكريم[2].

ولقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم أَمر الصحابة بتدوين القرآن، ولم يرغبهم في تدوين الحديث مخافة أن يختلط بالقرآن، ولكن ثبت تاريخيا أن بعض الأحاديث دُونت، منها ما دونه الإمام علي رضي الله عنه،وعبد الله بن عمرو بن العاص،وأطلق عليها "الصادقة"، وقيل عدّتُها ألف حديث.وفي مسند الإمام أحمد هذه الصحيفة،وصحيفة همام بن منبه التي دونها عن أبي هريرة، وعدتها "138"ثمانية وثلاثون ومائة حديث.

كما قال بعض التابعين بتدوين مجموعات،منها التي جمعها الزهري (124هـ) وهو أحد قراء المدينة، ومالك (129هـ)،وهو أحد فقهائها المشهورين...والواقع أن النحاة الأوائل عزفوا عن الاستشهاد بالحديث في تقعيد القواعد،فلم يستشهد سيبويه (180هـ) إلا بثمانية أحاديث، ولم يصرح بنسبتها للرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك كان موقف الفرّاء (207هـ)،فلم يتجاوز (13)

(1) . المرجع نفسه:47.

(2) . محمد خان ،مدخل إلى أصول النحو، جامعة محمد خيضر ،دار الهدى لطباعة والنشر، عين مليلة ،الجزائر، دط ،دت،ص16.

ثلاثة عشر، وهكذا يقلّ الاستشهاد بالحديث في كتب النحاة كالمبرد (285هـ)والفارسي (377هـ)وابن السراج (316هـ)،والأنباري (328هـ).فإذا كانوا يختلفون في إيراده قلة وكثرة، فإنهم يتفقون على عدم جعله شاهدا لغويا في النحو[1].

غير أن الأمر يتغير في بيئة الأندلس، فيحتجّ بالحديث السهيلي (ت581هـ)وابنُ خروف (ت610هـ) وابنُ مالك (ت672هـ) حيث بلغت شواهده منه (132) حديث. وقد أثر في النحاة بعده كالمرادي (ت749هـ)وابن هشام (ت761هـ) وابن عقيل (ت769هـ).

والجدير بالذكر أن القدماء من النحاة لم يصرحوا بالأسباب التي جعلتهم لا يستشهدون بالحديث، وقد اجتهد المتاخرون في البحث عن الأسباب التي جعلتهم لا يعتمدون شواهد منه.

فقال أبو حيان (745هـ) في هذا الشأن[2]:"إنما تَرَكَهُ العلماء لعدم وثوقهم أن ذلك لفظا لرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لو وَثِقوا بذلك،لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية،وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما–أن الرواة جوزوا النقلَ بالمعنى، فتجد قصة واحدة جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم لم تقل بتلك الألفاظ جميعها، نحو ما رُوي من قوله: "زوجتكما بما معك من القرآن"، و"ملكتكما بما معك "، "خذها بما معك "،وغير ذلك من الألفاظ الواردة في القصة،فنعلم يقينا أنه (صلى الله عليه وسلم) لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ،بل لا نجزم بأنه قال الرواة بالمرادف، ولم تأت بلفظه، إذ المعنى هو المطلوب، ولا سيّما مع تقادم السماع، وعدم ضبطه بالكتابة.

والاتكال على الحفظ،والضابط منهم من ضبط المعنى، وأما اللفظ فبعيد جدا لاسيما في الأحاديث الطوال.

الأمر الثاني–أنه وقع اللحن كثيرا فيما رُوي من الحديث، الأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بالسليقة، فوقع اللحن في كلامهم، وهم لا يعلمون ذلك، وقد وقع في كلامهم وروايتهم ما هو غير فصيح من لسان العرب، ونعلم من غير شك أن رسول الله صلى الله

(1) . المرجع نفسه ،ص17.

(2) جلال الدين السيوطي،الاقتراح في أصول النحو،دار المعرفةالجامعية،دط،1426-2006م،ص52,53.

عليه وسلم وكان أفصح الناس،فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات، وأحسن التراكيب،وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته، فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغات عن طريق الإعجاز،وتعليم الله ذلك له من غير معلم[1].

وقال أبو الحسن عندي في ترك الأئمة—كسيبويه وغيره-الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث،واعتمدوا في ذلك على القرآن. وصريح النقل عن العرب[2].

وذهب العلماء المعاصرون إلى جعل الحديث النبوي مورد بعد القرآن للإحتجاج به في اللغة حيث قال الأستاذ الراوي "القول بأن في رواة الحديث أعاجم ليس بشيء لأن ذلك يقال في رواه الشعر والنثر الذين يحتج بهما،فإن فيهما الكثير من الأعاجم،وهل في وسعهم أن يذكروا محدث ممن يعتد به يمكن أن يوضع في صف حماد الرواية الذي كان يكذب ويلحن ويكسر ومع ذلك لم يتوزع الكوفيون ومن نهج منهجهم من الأحتجاج. بمروياته ولكنهم تحرجوا في الإحتجاج بالحديث،ثم لا أدري لم ترفع النحويون مما إرتضاه اللغويون من الإنتقاع بهذا الشأن إن الحديث النبوي حجة في قواعد النحو وشاهد من شواهد أصوله وثاني أدلته بعد القرآن الكريم ومرتبته قبل الشعر والنثر.

وقرر المجمع بالقاهرة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف حيث جاء في قرارته (1932-1962) أن لا في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة لذالك وضعت شروط منهجية التزم بها علماء الحديث تتعلق بالمتن والسند والرواة... وربما من أجل هذه الأسباب انصرف النحاة عن الإستشهاد بالحديث مخافة الإعتماد على الاحاديث المكذوبة،وفي ذلك ترويج لها وهو ما يؤدي إلى المنهي عنه فقد قال الرسول (صلى الله عليه وسلم):(من كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده في النار) أو كما قال.ومن هنا تحرج العلماء في الاحتجاج به.أو تكون رواية الحديث ضعيفة في بيئة النحاة،وقد كثر وروده في بيئة الفقهاء للحاجة إليه في الفقه،فكان على العسير النحاة التأكد من صحته إذا

(1) . محمد خان :مدخل أصول النحو،ص18.

(2) . جلال الدين السيوطي :الأقتراح في أصول النحو،دار المعرفة الجامعية ،دط ،1426-2006م،ص54.

أرادوا الاستشهاد به،ولذلك قل عند الأوائل من النحاة،وكثر في كتب المتأخرين منهم لتثبيت من صحته في كتب الصحاح[1]

ثم نقول في الأخير،لئن خاف النحاة من تغيير اللفظ في الرواية فإن هذا لا ينسحب إلا على جزء من الحديث، ولا يشمل كل الحديث بأي حال،وهذا التغيرير –المزعوم– قد وقع في رواية الشعر كثيرا،ولم يصحح العلماء رواية الاشعار كما صححوا رواية الاحاديث، ومع ذلك فقد كان الشاهد الشعري حاضرا في كتب النحو بشكل قوي، وهم اكثر ميلا اليه واعتماد عليه في تاصيل قواعدهم. وقد قال الخليل (175هـ) منبها: ان النحاير ربما ادخلوا على الناس ماليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيت[2].

(1) . المرجع السابق نفسه:ص19.

(2) . أبي أحمد الحسن بن فارس بن زكريا ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،الطبعة الاولى .1418,1997.

ثالثا: كلام العرب:

هو المصدر الثالث من مصادر المادة اللغوية المسموعة عن العرب، ويشمل الشعر والنثر مما قالت العرب المحتج بهم[1] أو هم ما أثر عنهم من شعر ونثر قبل الاسلام وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين وشيوع اللحن.[2]

والمعلوم أن العرب قديما كان جل اهتمامهم يصب في الشعر أكثر من النثر، ولذلك كان المأثور عنهم من جيد الشعر أضعاف ما أثر عنهم من جيد النثر[3]، والشعر ديوان العرب، قال عمر رضي الله عنه: « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه» فيه أخبارهم وأيامهم وأفراحهم وأحزانهم واخلافهم....[4]

ومن الطبيعي أنهم اعتمدوا على نقله مشافهة، وهذا أدى إلى نسيانه ودخول تغيرات على شعرهم وهذا راجع إلى أنهم كما قلنا كانت روايتهم لشعرهم مشافهة ومع الزمن تغير و ضاع بعضه، قال عمرو بن علاء (154هـ): «ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا اقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير[5]».

ويكاد النحاة يقتصرون على الشواهد الشعرية، ويكثرون منها كثرة مبالغا فيها، حتى قيل: كان أبو مسحل: يروى عن علي المبارك أربعين ألف بيت شاهدا في النحو، وكان ابن الأنباري يحفظ ثلاث مئة الف شاهد في القرآن[6] وقد روي هناك اشعار قد دونت ولعل دليل ذلك هو جمع الوليد ابن يزيد (126هـ) من أشعار العرب وأنسابهم مستعينا بجمعات عند حماد الرواية وجناد ابن واصل من كتب ودواوين.[7]

---

(1). محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، جامعة محمد خيضر، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، (د- ط)، (د- ت) ، ص40.

(2) . محمد أحمد نحلة، أصول النحو. (د. ت)، (د ط)، دار العلوم العربية بيروت، لبنان، ص57.

(3). نفس المرجع، ص40.

(4) . محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، دامعة محمد خيضر، دار الهدى ، عين مليلة، الجزائر، (د. ت)(د. ت) ص40.

(5) . ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د. ت) ، ص44.

(6) . محمد خان، أصول النحو، جامعة محمد خيضر، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، (د.ت) ، (د ت)، ص41.

(7) . نفس المرجع، ص.41.

ولما جمع العلماء اشعار العرب ليستنبط قواعد منها والأحكام نظر فيما يحتج به منها وحدد زمن الشعر الذي يحتج به وأتفق على أن يكون منتصف القرن الثاني للهجرة نهاية عصر الاحتجاج للشعر[1] غير أن هذه الحدود الزمنية تمتد من 150قبل الاسلام إلى 150بعده أي مدة ثلاث قرون لم يحترمها كل النحاة، بل وقع شيء من تجاوز عند بعض النحاة فقد استشهد وبشعر الرّباء.

وجذيمة الأبرش وأعصر بن سعد وهؤلاء عاشوا في القرن الرابع قبل الاسلام.

وشعرهم مشكوك في صحته، وكذلك من الاستشهادات نجد استشهادهم بشعر عمار بن عقيل(229هـ) وابن عبد الله الشجري اللذان عاشا بعد القرن الثاني للهجري[2]

وإذا كان النحاة قد استخدموا الشعر شواهد لقواعدهم فإنهم قد اشترطوا في قبوله أن يكون:

- منتهي إلى عصر الفصاحة.
- معلوم القائل.
- مطرد (وهذا اشترط البصرين)[3]

كما أنهم قسموا الشعر إلى أربعة طبقات.

1. طبقة الجاهلية: وهم الشعراء الذين عاشوا الجاهلية ولم يدركوا الاسلام منهم- عامر- قيس- النابغة.
2. طبقة المخضرمين: وهم الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الاسلام منهم: حسان ابن ثابت لبيد.
3. طبقة المتقدمين: ويقال لهم اسلاميون وهم الذين عاشوا في صدر الاسلام ولم يدركوا الجاهلية: كالجرير والفرزدق.
4. طبقة المولدين:ويقال لهم المحدثون وهم بشار بن برد، وان نواس وزاد بعضهم طبقتين.

(1) . محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ص66.

(2) . محمد خان، مدخل إلى أصول النحو ، جامعة محمد خيضر، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، (د ت) (د ت) ، ص42.

(3). نفس المرجع، ص43.

5. طبقة المحدثين: وقصر الطبقة الرابعة على المولدين وهم الذين جاء وبعد المولدين كأبي تمام.

6. طبقة المتأخرين: وهم الذين جاءوا بعد المحدثين كالمتنبي.

وقد أجمع البصريون على الاستشهاد بشعر الطبقتين الأولى والثانية اما الثالثة فقد ذكر البغدادي في خزانة الأدب خلافا في الأخذ عنها معتمدا في ذلك على أن أبا عمرو ابن العلاء وعبد الله ابن أبي اسحاق، والحسن البصري كانوا يلحنون الفرزدق وذاالرمة والكميت وأضرابهم في عدة ابيات أخذوها عليهم ظاهرة وكانوا يعدونهم من المولدين لأنهم كانوا في عصرهم[1].

غير أن الدكتور علي أبو المكارم علق على ما ذكر البغدادي بقوله: «وتفسير البغدادي الموقف هؤلاء العلماء تفسير خاطئ[2]»ويبرر رأيه هذا بأن هذه المجموعة من علماء قد صرفت جهودهم إلى شعر متقدمين وجاهلين.

منهم بنوع خاص، تتحراه وتحققه وتحفظه وترويه متأثرين بذلك بأذواقهم الخاصة أولا ثم اهتماماتهم الدينية من قراءة وتفسير وفقه[3]. وهذا يعني أن أبو المكارم رفض تصنيف لطبقة الثالثة،والاقرار بحجية النصوص التي اخذت عنهم لأن طعن هؤلاء النحاة في بعض ابيات الفرزدق والكميت وذي الرمة لا يعني بالضرورة اسقاط الاحتجاج بسائر اشعارهم[4]. أما الطبقة الرابعة وما تلاها، وهم المولدون المحدثون والمتأخرون ومن جاء بعدهم.

فالنحاة اجمعوا على أنه لا يجوز الاحتجاج بشعر شاعر منها. وجعلوا ان يقولونه من شعر بمنزلة ما يرونه.

فالزمخشري استشهد بشعر ابي تمام في مسألة استخدام الفعل (أظلم) متعديا، وذلك حين فسر قول الله تعالى: «يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظْلم عليهم قاموا».[5]

(1) . البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب(تح: عبد السلام هارون) القاهرة 1967، ص...

(2) . علي أبو المكرم، أصول التفكير النحوي، ص45.

(3) .المرجع نفسه، ص45.

(4) . محمود نحلة، أصول النحو، ص68 .

(5). سورة البقرة، الآية20.

فقال «واظلم يحتمل أن يكون متعديا عن (ظلم الليل) [1]» حيث جعل الزمخشري هذا القول لأبي تمام في منزلة الرواية. ولعل دليل الاستشهاد بالشعر ما نجده في كتابه سيبويه حيث أن الشواهد الشعرية في كتاب سيبويه بلغت (1050) خمسين وألف بين من شعر العرب من الجاهلية إلى عصر سيبويه.

وأكثرهم من شعراء تميم: مثل علقمة الفحل وأوس بن حجر والفرزدق وجرير، ومن هذيل نجد أمية بن أبي عابد ومن طي نجد زيد الخير وحاتم، ومن أسد نجد عبد الله بن الأشيم، ومن كنانه نجد: الدؤلي، وأنس بن زنيم، ومن قيس نجد: النابغة الجعدي وطفيل الغنوي كما أنه استشهد بشعراء الحضر، من مكة و المدينة وثقيف والكوفة.....[2]

أما النحاة الذين استشهدوا بشعر هؤلاء المذكورين هم: المبرد(285هـ) وابن الأنباري (337هـ) والزجاجي (337هـ)، وابن جني (392)، والزمخشري (538)، والسيوطي (911هـ)[3].

ومن المعلوم والحقيقة أن لغة الشعر لا تصلح دائما لتعقيد القواعد لأنها محل الضروريات والضروريات عند النحاة تختلف عن اللحن أو الخطأ. ويقول الشعر لغته خاصة التي تسعى إلى تحقيق الغايات الجمالية أو ما تسعى ولو كان ذلك على حساب الشعرية،كما تتصف بالترخيص في القرائن اللفظية، ولهذا ينبغي أن نرى لغة الشعر نموذجا للاستعمال العربي فإذا عجز النحاة على التوفيق بين الشعر والنحو يعترفون بالضرورة والرخصة. [4]

وكما استشهدوا بالشعر نجدهم كذلك استشهدوا بالنثر لكي يجمعوا المادة اللغوية من المرويات النثرية ويستنبطون منها القواعد والأحكام واختطوا بذلك خطة لا يحيدون عنها، أن يجمعوا اللغة من مصادرها الأصلية، وأخذوها من منابعها الصافية الخالية من شوائب والعجمة نحدد لذلك مكانا وزمانا: فإما المكان فتخذوا له طريقين:

(1) . المرجع السابق، ص69.

(2) . محمد خان، مدخل إلى أصول النحو، ص44،45.

(3) .نفس المرجع، ص46.

(4) . تمام حسان، الأصول دراسة للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للتاب ، 982م، ص103.

أولهما: الأخذ عن الاعراب البادية، سوا بالرحلة إليهم أو ممن وفدا من الأعراب عليهم فمشافهة الأعراب كانت سبيلا إلى جمع اللغة أو إقامة اللسان.[1]

يروى أن الكسائي بعد أن أحاط بعلم أهل الكوفة رحل إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي في البصرة ليأخذ عنه، فلما أعجبه علمه سأله عن مصدر هذا العلم فقال الخليل: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، وخرج إلى البادية ورجع، وقد أنفذ خمسة عشر قنينة حبراً في كتابة عن العرب سوانا حفظ[2] ودخل أبو عمر الشيباني البادية ومعه دستيجتان من حبر فما خرج حتى افناهما بكتب سماعه عن العرب. ولقد كانوا يعتمدون في جمعهم وسماعهم من العرب عن قبائل معينة. سلمت من الاختلاط ولغتها نقية و سليمة.[3]

يقول السيوطي في الاقتراح: (والذين نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس وتميم وأ.سد...، فإن هؤلاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم أنكل في الغريب وفي الأغراب والتصريف، ثم هذيل وبعض، كنانه، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.)[4]

ثم يذكر السيوطي من لم يكن من العرب أهلا لأخذ اللغة منهم فيقول نقلا عن أبي نصر الفرابي في أول كتابه المسمى الألفاظ والحروف والجملة:

فإنه لم يؤخذ عن حضري قط أو لا من سكان البراري مما كان يسكن أطراف بلادهم التي جاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يأخذ لا من لخم ولا من جذام، كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان، ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرون في صلاتهم بغير العربية، ولا تغلب ولا نمر، فإنهم كانوا كالجزيرة مجاورين لليونانية، ولا من بكر لأنهم مجاورين لنيط والفرس، ولا من عبد القيس، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند

(1) . محمود أحمد نحلة، أصول النحو، ص57.

(2). ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (د.ط)، دار القاهرة: مصر، 1933، ص169.

(3). أبو المكارم، نزهة الألباء، ص57.

(4) .جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: علاء الدين عطية، طبعة2، دار البيروتي، دمشق، سوريا، 2006، ص19.

والفرس،ولا من أزْدْ عمان مخالطتهم للهند والفرس، ولا من أهل اليمن أصلا لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم ولابن بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف.

لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولا من حضارة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالط غيرهم من الأمم وأفسدت ألسنتهم(1).

ثانيهما: الأخذ من فصحاء الحضر، وهم فئتان: فئة من أعراب البداة اتخذت من ضواحي المدن الكبرى في العراق مستقرا لها ومقاما، فظلوا بمنجى عن الاختلاط الأعاجم والمولدين، فسلمت لهم لغتهم، وفئة من أهل الحضر عند اللغويين والنحاة سليقتهم، واستقامت ألسنتهم بما حفظوا من قرآن وشعر ومرويات مأثورة، ومنهم عمرو ابن ابي ربيعة وجرير، فرزدق الأخطل، وكثير، والأحوص وكميت، وبشار، ورؤية، والعجاج، وغيرهم.(2)

ومن ثمة يقول دكتور علي أبو المكارم: " و إذن ليس صحيحا ما قرره سيوطي من أنه لم يؤخذ الحضري قط"، فقد أخذ النحاة عن أهل الحضر كما أخذ عن أهل البادية.(3)

أما الزمن الذي حدده لأخذ اللغة من المرويات النثرية سواء مأخوذة من أعراب البادية ام عن فصحاء الحضر فقد حددوه بنحو150قبل الاسلام إلى150بعد الاسلام ثم نظروا بما روى بعد ذلك، فإن كان عن أهل البادية فهو حجة في اللغة، وإن كان أهل الحضر لم يكن حجة في اللغة.(4)

(1) . محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، ط1، دار العلوم العربية، بيروت، لنان، ص58-59.

(2) . علي أبو المكارم، أصول التفكير النحو، دار الغريب القاهرة، مصر2005، ص27-29.

(3) . المرجع نفسه، ص29.

(4) . محمودأحمد نحلة، أصول النحو، ص60.

الفصل الثالث

مفهوم الفصاحة وإهتمام العرب بالسماع

أولا: مفهوم الفصاحة لغة:

جاء في معجم العين مفهوم الفصاحة ما يلي:

« ورجل فصيح وفصح فصاحة وأفصح الرجل القول»[1].

وجاء في جمهرة ابن دريد:

«وأفصح العربية إفصاحا وفصح الأعجمي فصاحة إذ تكلم بالعربية.... وأفصح الصبح إذا بدا ضوؤه وكل شيء وضح لك فقد أفصح لك».[2]

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس« الف والصاد والحاء أصل يدل على خلوص شيء ونقاء من الشوب. من ذلك اللسان الفصيح: الطليف. والكلام الفصيح: العربي والأصل: أفصح اللبن: سكنت رخوته، وأفصح الرجل: تكلم بالعربية وفصح: جاءت لغته حتى لا يلحق.[3]»

ومن خلال هذه الأقوال وتحديدات اللغوية نستخلص ان الوحدات الدلالية الأولية لمفهوم الفصاحة غير المصطلح عليه عن النحاة هي كالتالي:

1.طلاقة اللسان وعدم وجود عقدة أو.عي ومن ثم سهولة التعبير.

2.بيان كلام الفصيح ووضوحه وفهم السامع لما يعنيه بسهولة وهذا ينطبق على العربية وغيرها من اللغات حتى على العجم إذا فصحوا في لغتهم أو في العربية.

3.حسن الكلام وبلاغته والفصاحة هي بذلك كمرادفة للبلاغة في اللغة العادية وقبل ظهور علم البلاغة.

4.السلامة من اللحن إذ لا يعقل ان يوصف البليغ باللحن على منهب قومه سواء كان ذلك بالسليقة أو بالتلقين.[4]

(1).الخليل بن الفراهيدي ،العين، ، تح: مهدي مخزومي، بغداد، القاهرة، ج3، 980، ص121.

(2) . جمهرة: اللغة ، ابن دريد، ج1، القاهرة، مصر 1351 هـ ، ص541.

(3) . أحمد ابن فارس ،مقاييس اللغة، ، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر بيروت لبنان، ط2، 1992، ص56.

(4) عبد الرحمان الحاج صالح. السماع اللغوي عند العرب، ، موفم الجزائر،2012، ص57.

الفصاحة اصطلاحا:

إن مصطلح " الفصاحة" وما يشتق منه كان يقصد به عند النحاة واللغويين في زمان سيبوية المدلولات الآتية:

أ. صفة من ترضى عربيته: أي كون الناطق العربي الفصيح " ترضى عربيته ويوثق بلغته ويؤخذها.

ب. السلامة اللغوية: أي كون هذا الناطق ينطق بكلام " عربي" سليم عن الخطأ اللغوي الذي لا يعرفه الفصحاء إطلاقا فالخطأ من الناحية العلمية كمحضى هو عدم انتماء العبارة الموصوفة بذلك إلى كلام العرب.

ت. الاستعمال الكثير المعروف من كلام الفصحاء: ومن ثم وضع الكلام بالنسبة لهم: أي كون هذا الناطق يتكلم بالواضح من الكلام بالنسبة للجميع أفراد المجتمع العربي الفصيح ولما يستعمله أكثر العرب. الفصحاء ومن أجل ذلك وبسبب وحدة اللغة ويمكن ان يتم التفاهم التام أو يكاد بين جميع الفصحاء.

ث. السليقة الخاصة بالفصيح: كون الناطق الفصيح. أيا كان بدويا أو حضريا كما اكتسب العربية الفصيحة من بيئته التي نشأ فيها أي أن تكون لغته الأولى وألا يكون تعلمها من ملقن، ثم بعد النصف الثاني من القرن الثاني ألا يكون الفصيح أطال الاقامة في الأماكن التي كان لكثير فيها الكلام الملحون فيأخذ من هذه البيئة اللحن بالسليقة ايضا.

ج. ولعل من أقدم النصوص التي ورد فيها لفظ الفصاحة نذكر الآية الكريمة« وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي رديداً إني أخاف أن يكذبوني»(1) ولا يوجد في القرآن من مادة[ف- ص- ح] إلا هذه الكلمة في هذه الآية ولكن ذكرت نصوص تحمل بنفس السياق وهو لفظ وله نفس المرجع ففي قوله تعالى« قال ربي اني أخاف أن يكذبون فأرسل إلى هارون».

(1) .عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب، ص38،39.

حقيقة الفصاحة: فصاحة اللغة أو القبيلة:

إن الفصيح في لغة من اللغات قد يكون اكتسب فصاحته أي ملكته الخاصة بها بالتلقين أو باللجوء إلى معلّم إمّا لأنهُ لم يكتسب هذه اللغة من بيئته التي نشأ فيها فهذه اللغة ليست هي لغة منشاه. وقد تكون هذه البيئة التي نشأ فيها يتكلم أفرادها بعربية قد ابتعدت قليلا او كثيرا عن اللغة التي نزل بها القرآن وهي لغة العرب الذين كانوا في عهد الرسول " صلى الله عليه وسلم" وكل من اكتسب العربية مثلهم ولم تتغير على السنتهم فالذين ابتعدت لغة بيئتهم الأولى عن هذه اللغة ثم اكتسبوا فصاحة بأي طريقة كانت فليسوا هم الذين قصدهم سيبوية ومن جاء قبله من العلماء.

أما الذين قصدهم بالفعل وأخذوه وأصحابه بلغتهم فهم العرب الذين كانوا اكتسبوا. كما قلنا اللغة التي ينطقون بها- في سائر الاوقات، من بيئتهم الأولى التي لم تبتعد لغتها عن عربية القرآن وكل العرب الذين كانوا مثلهم فهؤلاء كانوا أصحاب السليقة الفصيحة.[1]

ولا دخل للبلاغة وحسن التعبير في ذلك وحتى طلاقة اللسان في أبسط احوالها. فقد يكون المأخوذ منه مصابا بعيب في نطقه كان يكون ألثغ وقد يكون عيا فإن سلمت لغته بمعنى أنها لم تبتعد عن لغة القرآن وفصحاء العرب فهو ممن كان يجوز الأخذ وهذا لا يسعى فصيحا أبدا عند علماء البلاغة الذين ظهروا بعد سيبوية إلا إذا قصدوا الناطق السليم اللغة فقط كما اصطلح على ذلك علماء اللغة الأولوية [2].

وقد عرفنا أن الجرجاني هو من الذين استعملوا هذا اللفظ بمعنى البليغ، وقد نبه للفصاحة مدلولا آخر يقصده النحويين واللغويين إذ قال" ولم يعلموا في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أنها في اللغة أثبت... أو أنها أجرى على مقاييس اللغة" [3]فهذا تحديد فصيح علمي دقيق للفظ الفصيح هو كل ما ثبت وجوده في كلام الفصحاء أما اللحن فهو الذي لا يُسمع من هذه الجماعة، فهذا المفهوم

(1) .عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب، ص61.

(2) . نفس المرجع، ص62.

(3). شريف الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت: محمد رشيد رضا، قاهرة، مصر، 1335، ص353.

موضوعي لا يرتبط بذوق الفرد ولا بمعيار طبقة اجتماعية معينة فهو خروج عما تعرفه الجماعة الناطقة بلغة معينة.[1]

أما من اكتسب فصاحته بعد نشأته على لغة أخرى عربية مغيرة عن لغة القرآن مثل الكثير من الشعراء الذين ظهروا في زمان سيبوية فكان العلماء يمتنعون من الأخذ بلغتهم على فصاحتهم- لأن الفصيح غير السليقي- في أية لغة كانت وأي زمان غير مأمون عليه الخطأ إذ قد تعاوده لغة منشأه- العادة الأولى كما يقول الجاحظ بمجرد ما يعتريه أدنى استرخاء واسترسال في كلامه. وليس خاصا بالعربية فمقياس الفصاحة، بهذا المعنى هو مقياس علمي دقيق يعمل به العلماء في زماننا في البحوث اللغوية الميدانية وفي علم تعليم اللغات ويقابله بالتقريب الناطق بلغة منشأه.

ورأيناأن الفصاحة درجات فهناك فصيح والأفصح وهذا لا يمكن أن ينطق على السلامة اللغوية فمن لم تسلم لغته أي من تغيرت قليلا ام كثيرا لا يؤخذ بلغته فالذي تبين لنا من معنى الفصيح والأفصح أن بعض الألفاظ أو العبارات التي سمعت من فصحاء العرب كانت مشتركة بين جميع ويعضها لم تحظ بذلك بل انحصر استعمالها في عدد كثير أو قليل من الأفراد أو الجماعة واحدة من قبيلة أو من عدة قبائل لغة عند من جاء بعد سيبوية وهو فصيح والآخر أفصح لأنه دور على ألسنة العرب الفصحاء وبالتالي هو أوضح وأبين وسيبوية يقول خاصة: هو أعرب.

فالوضوح الناتج عن الشيوع واتساع رقعة الاستعمال الجغرافي هو جانب آخر هام يستلزمه مفهوم الفصاحة اللغوية كما تصوّرها العلماء الأولون أمثال سيبوية وشيوخة. وهو في غاية الموضوعية فاللغة ظاهرة اجتماعية بالدرجة الأولى فلا يتصور أن يختار من اللغة كمعيار أي كنمط إلا ما يمثل هذه اللغة حق التمثيل وهو الأكثر الشائع وما يكثر مجيئه على ألسنة الجماعة التي تنطق بهذه اللغة مع الاهتمام بما قل ذيوعه في استعمال الفصحاء والتنبيه عليه. فهذا هو معنى قول سيبوية: «هذا عربي أو هذا عربي بكثير أو هذا أكثر وأعرف».

وقد ذهب بعضهم في زماننا إلى أن« الفصاحة فصاحات لا ينبغي أن تتقيد بزمان أو مكان». نعم: كل لغة يمكن أن يعتبر أصحابها فصحاء إذا لم تتغير لغتهم وهم عند أهل الاختصاص في زماننا

(1)عبد الرحمان الحاج صالح ،السماع اللغوي عند العرب،ص62.

الناطق بلغة منشأه، كما سبق وإن قلنا وهم يمثلون الجماعة اللغوية الذين ينتمون اليها حق التمثيل. إلا أن هذه الفصاحة المقيدة بلغة اللغات هي بهذا السبب مقيدة زمان ومكان كما أن لكل لغة ناطقين معينين يقطنون أماكن معينة فكيف لا تقيد الفصاحة اللغوية بمكان ولا زمان؟ والفصاحة عند النحاة العرب هي مقياس يتبين به بقاء الناطق بالعربية على معيارها وهي لغة القرآن وكلام من نزل بلغتهم ولم تتغيّر لغتهم. ومعيارها هو نظامها العرفي أساسا.

وإذا أراد الباحث أن يصف نظاما لغويا معينا فلا بد أن يلجأ إلى السليقي من الناطقين إلى النصوص الصادرة منهم وإلا خلّط بين ما هو من هذا النظام وما ينتمي اليه.

وله أن يصف علميا النظام الذي تغير وليس له أن يدعّي أنه نفس النظام فالتحول اللغوي مقيد بالزمان والمكان كما أن اللغة وفصاحة أصحابها مقيدة بالزمان والمكان فلا يجوز أن نصف فرنسية القرن الرابع عشر وندخل فيها ما صارت إليه في القرن الخامس والسادس عشر فهما نظامان مختلفان، كما بيّنه العلماء وبالتالي لغتان مختلفتان. وكل لغة يصيبها تحوّل خاص بها وقد لا يصيبها ما يصيب غيرها.[1]

(1). عبد الرحمان الحاج صالح ،السماع اللغوي عند العرب،ص63,64.

التطور المكاني والزماني للفصاحة:

مرّا بأربعة فترات:

الفترة الأولى:

إن الشعر الذي وصل إلينا من هذه الفترة من الجاهلية يغطي شبه الجزيرة العربية بأكملها تقريبا: فكل قبيلة أو مجموعة من القبائل المتقاربة في النسب كانت لها شاعرا واحدا على الأقل ورويت عنهم أشعارهم إلا ما سنذكره فيما يلي:

وأخذ اللغويون العرب إبتداءاً من نهاية القرن الأول بلغة كل هؤلاء الذين نقل عنهم الرواة الفصحاء خلافا لما ادعاه الفارابي. وتتفاوت هذه القبائل في عدد شعرائها بحسب الأقاليم فأما التي كانت تقطن على الحدود المتاخمة لبلاد العجم فلم تحظ بما حظيت به القبائل التي ابتعدت من هذه الحدود. وذلك مثل بهراء فلم ينصوا على وجود شاعر لها في هذه الفترة وما بعدها ولم يذكروا لها إلا شاعرا واحدا غير معروف وهو الحكم بن عمرو الذي ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان وابن حزم في جمهرة أنساب العرب أو هن اليمنيين الآخرين الذين هجروا إلى شمال واستوطنوا الشام والعراق فجذام وعاملة وغسّان، فلم يذكروا إلا الأولين شاعرا بالنسبة لهذه الفترة وإن اشتهر من جذام في الاسلام خطيب مفوّه وهو روح بن زنباع الجُذامي وكان من أخطب العرب ولعامله شاعر في زمان الوليد بن يزيد كما سنراه وهو عدى بن الرقّاع. فهذا يدّل على أن هؤلاء القحطانيين بانضمامهم السياسي الجغرافي إلى مملكة بيزانطا وربما أثّر ذلك في سلوكهم اللغوي الثقافي خاصة إلا أنه لم يبلغ تأثرهم إلى حدّ اندماجهم في المجتمع البيزنطي بدليل وجود الخطباء منهم بالعربية والولاة لبني أمية مثل روح بن زنباع هذا وغيره.

وإن كنا لاحظنا أن الأغلبية الساحقة من القبائل العربية كانت تحظى بوجود شاعر من بين أفرادها فليس من الضروري أن يكون لكل بطن فيها وكل فخد منها من يقول الشعر وليس، في ذلك بالضرورة ابتعادهم من معظم القبائل العربية.

فأما غسّان فهي التي استولت منذ القديم على الشام وكانت منها ملوك الغساسنة الموالية لبيزانطا ومع ذلك فقد اشتهر منهم ثلاثة شعراء كما مرّ بنا.[1]

الفترة الثانية:

لا تزال العربية تغطي في هذه الفترة كل الأقاليم التي عرفت لها في الفترة السابقة ولا تزال الجهات التي تكن للعربية فيها سيادة كأقصى اليمن والأقاليم التي يسكنها العرب مع غيرهم من الأمم مثل العراق والشام.

وهذا ينطبق تماما على البرهنة الأخير من زمان الجاهلية، فلم يحصل في هذه المدة الزمانية أي تغير في خارطة شبه الجزيرة اللهم الشيء القليل من النزوح من الجنوب إلى الشمال والعكس وهو نزوح قديم جدا. وجاء الإسلام فانقلبت وضاع العرب بتأسيس الدولة الاسلامية وما قامت به من الغزوات في داخل شبه الجزيرة وخارجها ومن تحصير الأمصار وتنقل الأعراب من البوادي إلى المصار مثل من نزل منهم في البصرة والكوفة فابتداءً من النصف الأخير من هذه الفترة ليستحضر الكثير من الاعراب مع بقاء لغتهم على ما كانت عليه بشيء كثير من التفاعل والتداخل في النطق وفي المفردات وظهور اللحن في هذه الأوساط عند من ولى فيها في بيئة لغوية يسودها العجم خاصة. وان ذلك مجرد بداية في ذلك الزمان.

أما ما قاله ابن سلام في طبقاته عن الشعر «وكان في الجاهلية ديوان علمهم....فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ولهت عن الشعر وروايته: فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح واطمأنّت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر. فهذا يؤكده. ما وصل إلينا من الشعر المخضرمين من حيث الكم ومن حيث عدد الشعراء الذين نسبوا إلى كم قوم منهم كل ذلك بالنسبة إلى ما يقابله من فترة الجاهلية.»[2]

(1) . عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب، موقع للنشر، الجزائر، 2011، ص96.
(2). نفس المرجع، ص109.

الفترة الثالثة:

فيما يخص كلام العرب وغير الشعر فينبغي لنا أن نلفت الانتباه إلى أن الكلام الذي بدا يسجّله العلماء ابتداء من سنة90 (على يدي ابي عمرو بن العلاء) لم يقتصر على الشعر فهيهات أن يكون الأمر كذلك والذي يمكن أن تقوله هو أن ما سمعوه من كلام المنثور اي بلغه التخاطب وكل ما يسمع من المنثور الفني كالخطب والوعظ والأمثال وما يجري مجراها كان كثير جدا فكيف يمكن أن تستنبط قواعد اللغة بالإكتفاء بالشعراء وأكبر دليل على ذلك هي الحجج النثرية وأمثلتها الكثيرة جدا التي ذكرها سيبوية في كتابه والفراء والاخفش وأبو عبيدة وابن السكّيت وغيرهم في كتبهم وكذلك هو الأمر بالنسبة لمتن اللغة فأكثر المفردات التي تذكرها المعاجم كان لها بالضرورة إطارها المسموع من النثر ثم شهادة العلماء أنفسهم بالكثرة المهولة ممن سمعوا منهم من العرب.

ولهذا فإحصاؤنا الشعراء في كل إقليم بحسب العصور لبيان تطوّر رقعة الفصاحة السلبية هو وسيلة كما قلنا للتأكّد من ذلك وقد لا يوجد غيرها لتخفيف هذا الغرض لعدم تمكن العرب وغيرهم من حفظ ما كما يمكن حفظه بسهولة.

لقد بدأت رقعة الفصاحةة السليقة في هذه الفترة تتقلص شيئا فشيئا: بدا ذلك بالقرى والمدن التي اختلط فيها العرب بالعجم وتداخلت فئاتهم الاجتماعية المختلفة وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك منذ قليل.

ولهذا نتأكد أن الفصاحة العربية تغيرت عبر الزمان ولكل عصر من العصور الاحتجاج رقعته الفصيحة: وكانت تغطي في أقدم العصور كما رأينا، لحل الجزيرة العربية حتى بعد ظهور الاسلام بكثير إلى أن صار الذين ولدوا بعد ظهور الدين الحنيف في سنّ الرشد وكثر منهم أبناء البيئة الاجتماعية غير الفصيحة فخرجت الفصاحة شيئا فشيئا من الحضر واستبدلت فيه بالفصاحة غير السليقة ولغة ملحونة كلغة تخاطب. وبقيت سليمة في البوادي.[1]

(1) . ، عبد الرحمان الحاج صالح السماع اللغوي، ص121.

الفترة الرابعة:

من عصور السماع من 183هـ إلى 392هـ لقد خرجت الفصاحة السليقة من الحضر في أواخر القرن الثاني، كما رأينا وبقين في البوادي بدليل مواصلة العلماء في القرن الثالث وحتى الرابع تحرياتهم اللغوية بنفس الأهتمام وقد طال عصر اللغويين الذين عاشوا في أواخر زمان أبي عمرو بن العلاء وهم الاصمعي (المتوفي في 215) وأبو زيد الانصاري (م205)، وأبو عبيدة (م211) وغيرهم كانوا من سبقهم أخذو اللغة طيلة حياتهم من فصحاء العرب أينما كانوا في البدو والحضر. واضظروا هم ومن عاشوا إلى بداية القرن الثالث وكل من تتلمذ عليهم كأبي حاتم السجستاني، وابن السكيت والأثرم وغيرهم أن يكتبوا في تحرياتهم من الأعراب ويترك غيرهم أن يكتفوا في تحرياتهم بالأعراب وتركوا غيرهم وأطراد ذلك إلى أن صار من الشائع الذي لا يعرف غيره ان الفصحاء العرب الذين يؤخذ بلغتهم هم البدو ومنذ القديم ولا يزال ذلك شائعا إلى الآن.

وإن حاولنا تصفح شعراء الفصحاء المنتمين إلى القرن الثالث ممن أخذ لغتهم فسنجدهم كلهم من الاعراب إلا أن الأوضاع الاجتماعية قد تغيرت تغيرا عميقاً فلم يعتل من هؤلاء الأعراب بشعره إلا ما اعتلاه شعراء الحضر من المنزلة في هذه الفترة إلا ما يعتد به قلة فكأن قيمة الفرد صارت غير مرتبطة إلى حد بعيد يسود القبيلة بداية من ذلك العصر في أغلب الأحوال- وها هي ذي قائمة من الاعراب اشتهروا في هذا العصر بالفصاحة الموثوق بها عند اللغويين وأكثرهم كانوا شعراء:

*قيس عيلان:

من سُليم: عّدام بن الأصبع

من بني عامر: ناهض بن ثومه.[1]

*إلياس بن مضر:

من تميم

أبي بني بني كثوة العنبري.[2]

(1) . ا، عبد الرحمان الحاج صالح ،لسماع اللغوي، ص125.

(2) . الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 / تح: هارون، القاهرة، مصر، ص163.

أبو زيد المازني (محمد بن حسن)

أبو المجيب الربعي.

من عكل:

أبو الوجيه[1]

بنو قحطان

من طي: أبو سمع

فكل هؤلاء الشعراء هم في الحقيقة أعراب مشهورين روى عنهم العلماء من القرن الثالث خاصة كابن السكّيت وبعضهم انتقل إلى الحضر واسقرّ فيه. إن العهد الذي شهود بكثرة شعراءه انتهى في القرن الثالث وبقي الإعراب في هذه الفترة على فصاحتهم اللغوية وعدم تغير لغتهم عموما ومع ذلك أشار الجغرافيون العرب إلى وجود اللحن في البوادي أيضا.

فأما القرن الرابع فقد انتشر اللحن في البوادي انتشارا واسعاً وبقيت مع ذلك جموع كثيرة من الاعراب على فصاحتها وذلك لعزلتها غالبا.

ولنا شهادة في ذلك للغوي معامرا الأنهري، [2]وهو الجوهري. وصرّح في مقدمة معجمه«الصحاح »ما يلي: « قد أودعت في هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها.... بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية ومشافهي بها العرب العارية في ديارهم بالبادية»[3].

فهذه شهادة على بقاء الفصاحة السليقة في جهات كثيرة من البوادي في القرن الرابع. وهناك شهادات اخرى لا تكتفي بذكر الأماكن التي لم تزل فيها البيئات الفصيحة المتوارثة حيث يحصل فيها أهلها على العربية غير الملحونة بل يذكر أصحابها أيضا الأماكن التي أصحابها التغير اللغوي القليل أو الكثير وهي شهادات الجغرافيين.

(1). الجاحظ، الحيوان، تح: هارون، ج3، القاهرة: مصر،1947، ص194.

(2) . عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي، ، ص.128

(3) . الجوهري، الصحاح ، القاهرة، مثر: دار الحديث، الصحاح الجوهري، القاهرة، مثر: دار الحديث، ص4.

فالهمذاني صاحب كتاب صفة جزيرة العرب يأخذ بعض جهات شبه الجزيرة ويصف لغة أهلها من حيث الفصاحة وهو يقصد لغة التخاطب اليومي وبالتالي كشف عن مدى بقاء الفصاحة السليقة في هذه الأقاليم من شبه الجزيرة. وابن جني كذلك يواصل التحريات في أواسط القرن الرابع، قال في الخصائص «وسألت غلاما من آل المهي فصيحا عن لفظة من كلامه لا يحضرني الان ذكرها- فقلت أكذا ام كذا؟ فقال: كذا بالنصب لأنه أخف» فجنح إلى الخفة عجبت عن هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم في الانشاد الذي يقال له النصب مما ينبغي به الركبان.[1]

وقال ابن جني ايضا «وكذلك لو فشا في أهل الوبى ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وانتحتاص عادة الفصاحة لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنهما. وعلى هذا العمل وفي قوتنا لأنا لا نكاد نرى بدويا فصيحا وإن نحن انسا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك...»

وهذه شهادة تثبت اختفاء الفصاحة السليقة في البادية وإن كان حصل ذلك على درجات كما يدل على ذلك كلام الهمذاني وابن جني، وبذلك انتهى السماع اللغوي وختمت التحريات اللغوية فيما يخص اللغة العربية التي كان ينطق بها ما اسموهم« بفصاحة العرب».[2]

ونستخلص مما سبق أن جميع ما وصل إلينا من الشعر من الفترة الأولى هو العربية التي نزل بها القرآن وليس من إقليم في شبه الجزيرة في ذلك الزمان الذي أمتد من عهد المهلهل إلى ما قرب من زمان الوحي: لا وقد ظهر فيه شاعر وصل إلينا منه شعر باستثناء أطراف الجزيرة مثل جزء من الشام حيث وجدت بعض القبائل لم تحظ بذلك كقبيلة بهراء أما جذام وتنوخ ولخم وغسّان وبليّ وخولات وغيرها فقد ذكرو لكل واحدة منها شاغرا وشعراء روى شعرهم العلماء. فقد أخذ اللغويين من جميع القبائل وبذلك يسقط ما ادعاه الفارابي من عدم أخذهم من هؤلاء ومن بكر وتغلب وثقيف وغيرها. فقد أخذوا منهم بتدوينهم لما كان رائجا متداولا عند العرب.

(1)ا ابن جني لخصائص، ، القاهرة، ص78.

(2) . ال عبد الرحمان الحاج صالح ،السماع اللغوي :، ص128.

الفترة الاثنية التي تمتد من نهاية الجاهلية وظهور الإسلام وزمان المخضرمين فليس هناك تغيير كبير للوضع للغوي على الرغم من تمصير الأمصار الجديدة ونزول من كل القبائل فيها ووصل إلينا من تلك الفترة أيضا يغطى شعر كل الجزيرة تقريبا.

الفترة الثالثة وفيها تولى الحاكم الأمويين وتلاهم العباسيون وهي فترة حصل فيها تغير واسع للخارطة القبلية إلا أن ذلك لم يؤثر في الحين في الوضع اللغوي فقد بقى سكان الكوفة والبصرة ومكة والمدينة على فصاحتهم السليقة طيلة العهد الأموي بدليل كثيرة من استشهد بشعرهم من اهل الحضر في هذه الفترة وقد يكون من بين هؤلاء الفصحاء من الموالي والعجم وستشهد بشعرهم لأنهم نشأوا وترعرعوا في بيئة فصيحة وهذا المعبّر عند اللغوين وقد تكون هذه البيئات الملائمة لبقاء الفصاحة في خارج شبه الجزيرة. كخرسان.

وفشا اللحن ابتداء من القرن الثاني حتى عم في أواخر هذا العصر كل المدن وختم بذلك عهد الاستشهاد بأهل الحضر وانتهى عهد الرجوع إلى الشعر في المدن لمن سمّوا بساقة الشعراء.[1]

وكذلك كانت لقبائل اليمنية الاخرى التي كانت على الفرات مثل تنوخ أو على الضفة الغربية منه وفي الشمال نجد مثل لخم وكلب وجليّ وكندة وطيء وعذره.

اما لخم فمنهم ملوك الحيرة الذين ملكوا مدة خمسة فروت وأول من ملك منهم عمرو بن عدى قاتل الزباء وابن أفت جذيمة الأبرش. ومنهم شعراء وقد ذكرنا اسماء ثلاثة منهم من العهد الجاهلي، وأما تنوخ فكانوا بالجزيرة وقال عنهم ابن حزم« فتنوخ على ثلاثة أبطن: بطن اسمه فهم... وبطن اسمه نزار وهم لوث... وهم من قضاعة... وبطن ثالث يقال له الاحلاف وهم من جميع قبائل العرب كلها من كنده ولخم وجذام وعبد القيس»- وذكرنا لهم ثلاثة شعراء من الجاهلية.

وأما كلب فقد ذكرنا لهم عشرة شعراء في هذه الفترة فهذا كثيرا جدا وكذلك هو الأمر بالنسبة إلى القبائل قضاعة القاطنة على شاطئ بحر القلزم بين أيله وخيبر: كيليّ وعذرة- ولا تبتعد جذام عنهما كثير- أما كنده فكان ها ملك هي أيضا على العرب منهم بنو أسد كما هو معروف وأشتهر منهم أكبر شاعر من الجاهليين وهو أمرؤا القيس بن حجْر.

(1) . عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي، ، ص134.

وتميزت طي من كل هؤلاء بكثرة الشعراء في الجاهلية فقد ذكروا لها ما يفوق ستين شاعرا فوجودها بين قبيلتي أسد وتميم ومنازعتها لأسد رُبمّا كان له تأثير في ذلك.

ولا بد من الإشارة في وسط شبه الجزيرة العربية. فقد ثبت بذلك أهمية الشعر الذي انتجه القحطانيون في الجاهلية.(1)

وفيما يخص القبائل العدنانية فكانت بعض ربيعة وخاصة قبيلة ثعلب تقطن في الجزيرة في جوار لخم القحطانية وظهر فيها العدد الكبير من الشعراء وسبق أن ذكرنا ما لاحظه علما وأن القدامى بأن الشعر أول ما ظهر عند ربيعة ثم قيس ثم تميم. وهذا ما يبيّنه التصحيح لشعراء هذه الفترة. وفي الخلاصة نستطيع أن نقول بأن العربية التي نزل بها القرآن كانت تغطى بالفعل شبه الجزيرة العربية ماعدا أطرافها التي كانت يسكنها أجناس من الناس غير عرب.

هذا ولم تتغير طيلة هذه الفترة التي تبتدئ بأقدم قصيدة شعرية وصلت إلينا باللغة العربية. وقد جاءنا من الجاهلية شعر كثير جدا ويعزى إلى أبي عمر وابن العلاء أنه قال« ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا القلة ولو جاء لجاءكم شعر كثير».

وتغيرت العربية حتى كثر في التخاطب العادي ما ليس « من كلام العرب» وهي «العربية الملحونة» التي سميت فيما بعد بكثير بالعامية. وبقيت البوادي في النصف الأول من القرن الثالث على الفصاحة مع بداية انتشار اللحن في بعض الجهات وواصل العلماء تحرياتهم فاكتفوا في هذا العصر بأهل الوبر.

أما خاتمة المطاف بالنسبة للفصاحة السليقة فتبتدئ في القرن الرابع بالنسبة إلى للبوادي ايضا وقد شهد بعض اللغوين ما بقي من هذه الفصاحة أي من البيئات الفصيحة وكذلك فعل الجغرافيون العرب فوصفوا بالتدقيق المساحات التي تغيرت اللغة العربية فيها واشاروا إلى من كان لا يزال فصيحا من أهل شبه الجزيرة وانتهى عهد البيئات الفصيحة في نهاية القرن الرابع بشهادة ابن جني هو نفسه رحمه الله.(2)

(1). المرجع نفسه، ص132.

(2) . مرجع نفسه، ص132.

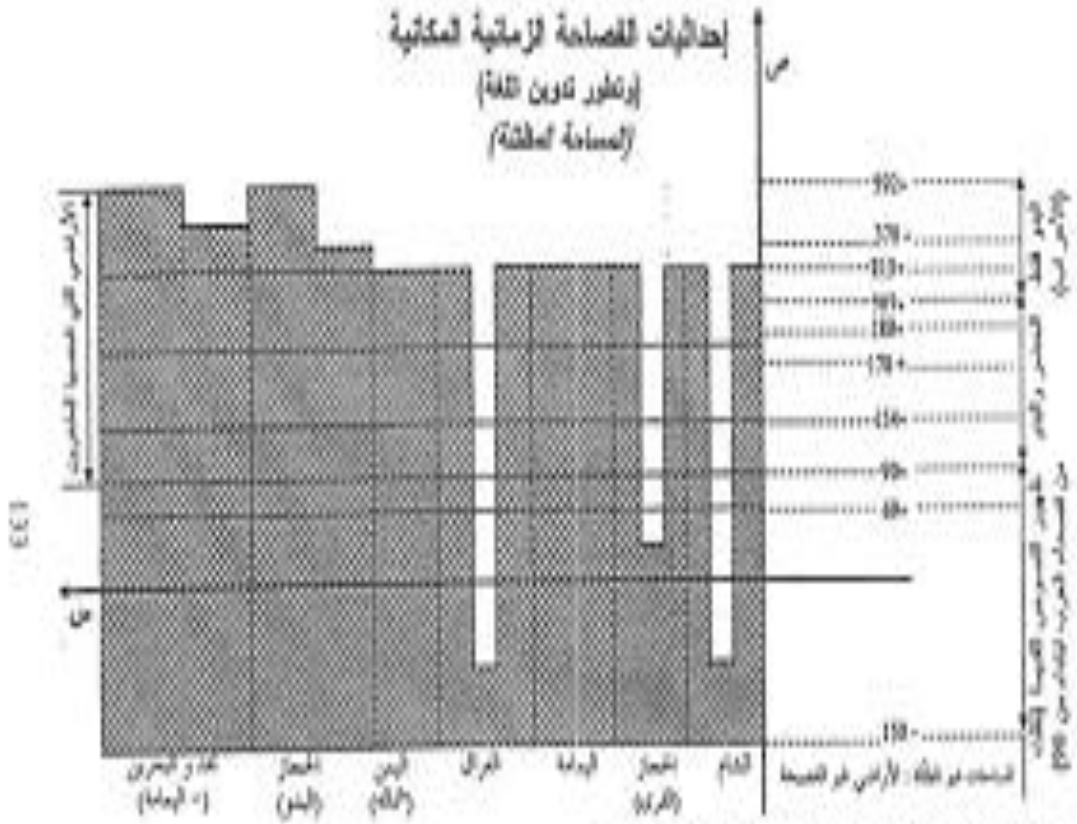

(1) في محور السينات : أماكن الفصاحة بترتيب تصاعدي لأهمية مساحتها
وفي محوري الصادرات : عصور الفصاحة إبتداءا من 150 قبل الهجرة إلى 392 هـ والصفر = الهجرة
(2) من 60 إلى 2000 قارة تواجد الفصحاء وغير الفصحاء (وردان تمثل مساحة الدولة في الدور)
(3) أهم الأزمنة : -150: بداية شيوع أهم النصوص +69 وفاة أبي الأسود الدؤلي +90: وفاة الشعوبيات العربية الجاهلية +154: وفاة أبي عمرو بن العلاء +180: وفاة الخليل و سيبويه +205: وفاة الفراء +215: وفاة الشعوبين الفصحاء +370 وفاة الأزهري +392: وفاة ابن جني والجوهري (393) ونهاية الشعوبيات الجاهلية

ا) ه والسيوطي المزهر - محمد الرملي — ص 133

كلب
كندة
طي
نجد
جنفة
بنو عامر
بنو عقيل
بنو كلاب
بنو سليم
بنو هلال
بنو عبس
بنو ذبيان
بنو أسد
بنو تميم
بنو ربيعة
بنو حنيفة
بنو عنزة
بنو شيبان
بنو بكر
بنو تغلب
بنو عدنان
بنو قحطان
اليمن
حمير
البحر الهندي

هل هناك لغة عربية مشتركة:

يعتقد الكثير من الباحثين والمعاصرين ان ما يسميه الناس بالعربية الفصيحة أو الفصحى كان يمثل في الحقيقة لغة خاصة بتعبير الأدبي كالشعر مثلا وذلك لسببين اثنين:

الأول: هو أن الشعر والقرآن قد جاءوا بلغة موحدة.

ثانيا: اقتناعهم بوجود لهجات مختلفة من قبيلة إلى أخرى ومن شرق الجزيرة إلى غربها. ومن ثم اعتقادهم ان لغة التخاطب كانت مختلفة عن اللغة الأدبي المختلفة باختلاف اللهجات.

والحق أن هذه الفكرة غربية عن العرب ولم يُشَر أي مؤَلف عربي في قديم إلى وجود لغة عربية منفصلة كما سَمُوه باللغات ولم يُثَر مثل هذا التميز بين العربية ولغة التخاطب عند الفصحاء إلا بعد أن نقلت هذه الفكرة من البلدان الغربية والأوساط المثقفة العربية في عصرنا هذا. والأصل في هذا التصور يرجع إلى مالاحظه علماء الغرب في الحالة اللغوية لبلاد اليونان قديما لوجود لهجات محلية ولغة أدبية موحدة سميت عندهم بالkoiné فقاسوا الحالة اللغوية العربية في زمان «الفصاحة العفوية» على الوضع اللغوي اليوناني القديم فَسَمُوا اللغة الفصيحةarabic koinè، وهذا في الحقيقة، مجرد اسقاط للزمان الحاضر على الماضي أي مجرد تسوية بين ما هو حاصل بالفعل في زماننا هذا وبينما كان حاصلاً في زمان الفصاحة السليقة.

وحجتهم التي يعتمدون عليها للدفاع عن هذا التصور هي وجود ما يشبه اللهجات عند العرب قديما ومن جهة أخرى استحالة ان تكون في زعمهم لغة التخاطب اليومي العفوي في أي زمان كان هي لغة الأدب.

إن إلحاق المستشرقين الوضع اللغوي العربي كما كان في زمان الفصاحة العفوية بالوضع اليوناني في زمان ظهور الأثار الأدبية اليونانية ألا يعتمد على ما يستلزم ذلك من المطابقة التامة بين الوضعين اللغويين لا من حيث الحالة اللغوية بذاتها ولا من حيث التطور اللغوي لكل من العربية واليونانية.[1]

(1) . السماع اللغوي،عبد الرحمان الحاج صالح، ص148-149.

فنحن لا نعرف بالضبط ما هي لغة الام التي تفرعت عنها اللغة العربية مباشرة فعلى هذا لا يمكن ان تعتبر هذه التسوية بين الوضعين إلا كمجرد افتراض إذا لا يوجد أي دليل على وجود لهجات عربية كانت تختلف مثل اختلاف اللهجات اليونانية ولكي يثبت ذلك فلا بد من أن يشهد هذا الاختلاف الكبير الذين عاشوا في تلك العصور ولا سيما علماء اللغة.

ثم يتعجب هؤلاء المدعّون من عدم تصريح أولئك العلماء بهذا الاختلاف الكبير واعجب من هذا وأغرب أن يستنتج من ذلك أنهم غفلوا غفلة تامة عن هذا إذا لو تفطنوا له لينبهوا عليهم فأكثر ما فعلوا انهم ذكروا ووصفوا ما كان يُسمونه بلغات العربْ أو لغات القبائل، وقد كانوا يقصدون لكلمة(لغة) هو ما يقصد اليوم من كلمة (لهجة).

فلقد خلطوا اللغويون والنحاة في دراساتهم للعربية بين لغة الفصحى وبين اللهجات وكان ينبغي ان يفردُوا لكل منها دراسة خاصة بناءا على انفصالهما الحقيقي في الاستعمال.[1]

يقول ابراهيم أنيس(أن الرواة وقفوا في استنباط قواعدهم عند اللغة الأدبية التي جاءتهم موحدة وممثلة في الآداب الجاهلية والقرآن الكريم لجنبوا أنفسهم الكثير من المهارات الجدل حول ما يجوز وما لا يجوز ولكنهم حاولوا اقتحام الصفات للهجات العربية، فبدت لنا القواعد اللغوية مضطربة متعددة الوجوه).[2]

آراء الحاج صالح في اللغة المشتركة:

إن القول بأن العلماء القدامى لم يتفطنوا إلى وجود لغة أدبية مشتركة بين العرب وإلى لغة تخاطب كانت تختلف باختلاف اللهجات أو على أقل تقدير لم يتفطنوا إلى أهمية التمييز في الدراسة بينما هو استعمال اللغة الخاصة في الأدب، وهي الفصحة، وما يرجع إلى استعمال العادي وهو الحاصل باللهجات. فهذا عندنا قول جزاف فيه ظلم كبير لعلمائنا وازدراء بما أبدعوه من عجيب التحليل وتعليل وما ظهروه من شدة التحرّج في أقوالهم العلمية.

(1).عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب:، موقع للنشر. الجزائر، 2012، ص142.
(2). في لهجات العربية ابراهيم انيس، القاهرة، 1965، ص41.

فكيف يتصورّ أن يبني هذا الصرح الفخم العظيم المسمى بالنحو العربي، وهو يحتوي على تلك اللحظات الدقيقة الاستعمال اللغوي العربي لفظا ومعنى إفراداً وتركيبا كالتمييز الدقيق بين السلامة اللفظية والمعنوية واستغلال كل واحدة منها على الأخرى ولا يكشف هذا إلا منذ سنوات قليلة.

وتمييز بينما يرجع إلى أبنية الكلام وأحوال الخطاب ولم يتطرق إلى ذلك إلا فيما يجزي الآن من البحوث فيما سَمُوه بالتpragmatics وغير ذلك كثير، فكيف يتصور ان يبدع كل هذا علماء لم يكونوا قادرين أن يتفطنوا إلى وجود لغة أدبية مشتركة تنظم بها الأشعار هي وحدها دون اللهجات المحلية ونزل بها القرآن هي وحدها وإلى أنها منفصلة بالتالي عن اللهجات التي كان يتكلم بها العرب يوميا؟ أمثل الخليل وسيبويه يغفل عن هذه الظاهرة لو حصلت بالفعل، ولو قيل بأن ما أتى لهؤلاء العلماء من الوسائل العلمية و المنهجية كان غير كاف في ذلك الزمان للتوصل إلى اكتشاف كمثل هذه الظواهر أو التفطن إلى أهمية التمييز بين هذه الكيانات اللغوية وما يقتضيه العلم في زماننا من ضرورة الدراسة لكل كيان لغوي على حدة؟[1]

1.شهادة القرآن التاريخية.

قبل أن نتطرق إلى أقوال العلماء يحسن أن نذكر نعت القرآن الكريم اللغة التي نزل بها من اوله وآخره في هذه الآيات الكريمة« وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»[2]. وقال سبحانه وتعالى« اللسان الذي يلحدون إليه أعجم وهذا لسان عربي مبين»[3]. ولا مناص قبول هذا النصوص كوثيقة تاريخية إذ لا مناص من أن يقرّ الباحث مسلما أو غير مسلما حقيقة ظهور هذا الكلام في التاريخ والذي يهمنا هنا هو الذي نزل فيه على الرسول(ص). فهو شاهد لا يمكن أن يردّ فيما يخص ماهية اللغة التي نزل بها وحتى فيما يخص تأكيد القرآن على أن هذا الخطاب نزل بلسان قوم محمد.

وكان يمكن أن ينعته القرآن، وبلغة أهل قريش أو لغة اهل الحجاز لكنه سبحانه أبا إلا أن ينعته بالعربي سبعة مرات وبالعربي المبين فالقرآن أن يخاطب العرب بلغتهم فهذه اللغة لم تكن محلية خاصة

(1).عبد الرحمان الحاج صالح ،السماع اللغوي، ، ص151.

(2). سورة ابراهيم، الآية14.

(3). سورة النحل- الآية-16-

بالقبيلة أو بالشعر فالقرآن يؤكد أن هذا اللسان الذي نزل به يفهمه كل العرب، فبالتالي يتخاطب به جميع العرب وهو وسيلة تواصلية.

2. مقصود من كلمة لغة في زمان سيبويه.

إن ما كان يسمى عند علماء اللغة باللغات فلم يكن مجموع،ها يكون مجموعة من اللهجات يختص استعمالها التخاطب اليوم. فهي لهجات قائمة بنفسها حسب رأيهم وتقابلها لغة القرآن وفيما يخص لفظة اللغة فكان المقصود بها عندهم هي اللهجة وليس الامر كذلك عند العلماء الأولوين، يقول سيبويه في كتابه «الهمزة إذا كانت مبتدأه محققة في كل لغة».[1]

وذلك في لغة جميع العرب إلى أهل الحجاز «كسر حرف المضارع مثل تِعلم»[2]

إذا نظرنا في هذه الأمثلة متنوعة لفظة لغة فإننا نجد سيبويه يطلق هذه اللفظة على كيفية خاصة في استعمال العرب أو جماعة عنصر خاص من عناصر العربية فمقصود من كلمة لغة في نصوص سيبويه هو طريقة استعمال جميع العرب أو اكثرهم لوحدة من وحدات العربية على اختلاف مستوياتهم.

إن الكيفيات في استعمال العرب لوحدة لغوية معينة فقد تكون لهجيه أو غير لهجيه وقد ينطق بها القليل من العرب الفصحاء من قبيلة معينة أو أكثر من قبيلة وهذا يفسر أن علماء العرب كثير ما يَسْكُتُون عند القبيلة أو الجهة التي تنتمي إليها هذه اللغة أو تلك لوجودها اكثر من قبيلة. كما أنهم لا يغفلون عن ذكر اهل هذه اللغات إذا انفرد بها. فكثير ما يذكرون هذه الكيفيات ثم يشيرون إلى أنها كثير في العرب». فلا تختص بقبيلة أو اقليم. وذلك مثل: « هذا باب يختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه في جميع اللغات[أما العبيدُ فذو عبيد]»[3].

(1).سيبويه، الكتاب ، ، طبعة بولاق2، 1317، القاهرة، ص165.

(2).سيبويه،الكتاب ، ص256.

(3).مرجع نفسه، ص194.

3. وقوع التفاهم وحقيقة اللهجات العربية:

إن مجموعة هذه الصفات اللغوية الخاصة لم تمنع التفاهم بين القبائل إذ لم يصرّح أي واحد مماً عايش فصحاء العرب في ذلك الزمان الغابر، باستحالة التفاهم بين العرب بسبب اختلاف اللهجي – فكل ما هناك انهم نصوا على اختلاف الأصوات وفي صياغ الكلمة، وذكرو عدد قليل من مفردات اختصت بها بعض القبائل. وقد مرّا بنا ما حكاه الجاحظ أن « أصحاب هذه اللغة لا يفقهون– قول القائل من: « مُكْره أخاك لا بطل و» «إذا عزّ اخاك فَهُنْ». ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: «ذهبت إلى أبو زيدا ورأيت أبي عمروا»[1].

أما موقف العربي الفصيح إزاء التنوعات التي ليست في لغته فقد قال في ذلك ابن جني « وذلك أن الأعراب الفصيح إذا عَدَل به عند لغته إلى أخرى سقيمة عافها ولم يعبأ بها إلا أنهم... استنكاراً لزيغ الاعراب منهم لخلاف اللغة لأن بعضهم قد ينطقوا بحضارته بكثير من اللغات فلا ينكرها إلا أن أهل الكفاءة وقوة الفصاحة يتناكروه خلاف اللغة تناكرهم خلاف الإعراب»[2].

فهذا الذي يحكيه ابن جني عن سلوك الاعرابي يبين الذي ينفر منه هو وحدات من العربية ولا يدل هذا النفور عن عجز الأعرابي عن فهم خطاب غيره سبب تباين اللهجات.

(1).الجاحظ ،البيان والتبيين، ، ج(1)، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، مصر، 1984م، ص162.

(2).ابن جني، خصائص، ، (ج2). القاهرة– مصر.1386–1389، ص27/26.

ثانيا:السماع عند العرب

إن التحريات اللغوية في عين المكان بدأت عند العرب في زمان مبكرا جدا وقد اشتهر أبو عمرو بن العلا بأنه أول من بادر إلى السماع من أفواه العرب وإلى تدوين كلامهم وأول من تجول في شبه الجزيرة لهذا الغرض ويمكن أن نعرف تاريخ الشروع في هذا النوع من التحريات بالرجوع إلى ما قاله الفارابي الفيلسوف في((كتاب الحروف))حيث قال(وانت تتبين ذلك متى تأملت أمر العرب في هذه الاشياء...وأكثر ما تشاغلوا بذلك من سنة التسعين إلى سنة مائتين وكان يتولى ذلك من بين أمصار أهل الكوفة و البصرة من أرض العراق)

والذي سنتطرق إليه في هذا الباب هو كل ما يتعلق بهذه التحريات اللغوية التي قام بها اللغويون والنحاة العرب الاولون ومنهم **أبو عمرو بن العلا المؤسس الحقيقي للجغرافية اللغوية** إذا لم يسبق إلى ذلك في تاريخ علوم اللغة عامة،وذلك كالسؤال عمن قام بالتحريات من هؤلاء العلماء الأولين واستمروا إلى أي عصر منذ أن بدأت بذلك الفريق الاول.[1] بحيث أن بحوثهم الميدانية غطت في الواقع كل الجزيرة تقريبا ويدل على هذا ما نقل من اللغويين من أوصاف وتحليلات ويشهد ذلك على اهتمامهم الكبير بتغطية الجزيرة ولا سيما ما جمعوه من كلام العرب وما دونه من دواوين الشعرية ولم يسبق العرب إلى مثل ذلك ونلتمس هذا التنوع الكبير في اسماء الشعراء الذين استشهدوا بهم العلماء فسيبويه وحده لجأ إلى236شاعرا يمثلون 26 قبيلة [2]من مختلف الاقاليم.

ونستخلص من هذا كله أن العرب اللغويين تجولوا في أكثر الأقاليم من شبه الجزيرة العرب ولم يتركوا أي بطن أو قبيلة إلا وسمعوا من أفرادها خلافا لما قاله الفارابي وأكبر دليل على ذلك النصوص.

(1) . عبد الرحمن الحاج صالح،السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة،موفم لنشر،دط،الجزائر،2007'ص335.

(2) . خالد عبد الكريم جمعة ،شواهد الشعر في كتاب سيبويه، ،دار النشر الشرقية،ط2,1409هـ-1989م،ص2

اهتمام العرب بالسماع

ادرك الإنسان أن له جهازا سمعيا يمكنه من التقاط الاصوات بواسطة الأذن كما انتبه إلى جهازه النطقي الذي مكنه من القدرة على الكلام ،فربط العلاقة القائمة بينهما بواسطة العقل الذي وهبه الله له ،فاصبح قادرا على المحاكاة والابداع التميز والتصنيف وغيرها"وترتبط هذه الأجهزة بعملية إنتاج الكلام الذي يتكلم به الأفراد والمجتمعات ببعضها ارتباطا عضويا لا انفصام فيه، وإن تعطل أي منها أو اصابته بضرر أوسيترك بصماته في الكلام ،فالجهاز النطقي و إن شكل مصدر القدرة الإنسانية لإنتاج الكلام فإنه مرتبط بالكلام المخزون في العقل الذي اعتاد جهازه السمعي على نقله اليه، لينهل منه وقت الحاجة فيعيده كلاما إلى سيرته الأولى، وهكذا دواليك"[1]

إلا أنه يجب أن نفرق بين أمرين في هذا المجال وهما:

الأول: القدرة على إنتاج الكلام، ويمثل جانب الإستعداد الفطري في عملية إنتاج الكلام ،لأنه من منجزات الجهاز النطقي الذي أودعه الله في الإنسان مادامت له تلك الطواعية والقدرة على نطق أي من اللغات التي إعتاد سماعها.

الأخر:وهو الكلام ذاته ويشكل الجانب المكتسب في عملية الكلام؛"وجهاز الطفل النطقي أسير ما إعتاد جهازه السمعي سماعه يحاكيه ليصبح لسان حاله الذي يتعامل به الأخرون فالكلام لايتم أخذه إلا بالسماع من الأخرين وإن اعتياد على سماع اللغة ماهو إلا معيار نجاحه في أدائها أداء سليما "[2]

ونرى في تراثنا أيضا ما يؤكد أهمية السماع من البيئة في اكتساب اللغة،فهاهو ابن فارس (ت395هـ)يقول"تؤخذ اللغة اعتياد كالصبي العربي يسمع أبوابه وغيرهما فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الاوقات[3]وعلى ضوء هذا يمكننا أن نقول أن اللغة رهينة السماع،وأن السمع وسيلة للانسان إلى

(1) . صادق عبد الله أبو سليمان،أهمية السماع في تحصيل اللغة ، ، بحث في مجلة اللغة العربية، القاهرة، العدد 97.

(2) . المرجع نفسه.

(3) . أحمد ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة، ،المكتبة السلفية،ص30.

امتلاك اللغة،وهو أيضا "أبو الملكات اللسانية"[1]وعلى العموم فأن اللغة نطق وسماع،فصلاح نطق المسموع يؤدي في الاغلب الاعم إلى المحاكاة سليمة له،لذلك أدرك العرب منذ العصرالجاهلي أن اللغة ظاهرة صوتية منطوقة، وأن الانسان يسمع قبل أن يتكلم فوجدناهم يتخذون السماع وسيلة لتربية أبنائهم منذ الصغر على الفصاحة فكانوا يدفعون بيم إلى المرافع لينشأ الطفل في الاعراب،من حيث الفصاحة والفراسة،فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه،وهذا ما حدث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ارتوى وهو في المهد من فصاحة بني سعد وهم أفصح العرب ليكون أهلا للوحي و القرآن الكريم وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أثر نشأة في فصاحته فقال "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد وبكر".[2]

كما روي أنه قال عليه السلام-لأبي بكر-رضي الله عنه-حين قال له ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال "وما يمنعني وأنا من قريش واسترضعت من بني سعد"[3]ولم تنقطع هذه العادة بعد العصر الجاهلي فقد حرص عليها خلفاء بني أمية والعباس ومما وصل إلينا من ذلك عبد الملك بن مروان كان يقول "أضربنا حب الوليدلأن الوليد كان لحانا وسليمان فصيحا؛لأن الوليد أقام مع أمه وسليمان وغيره من إخواته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا"[4]وهو ما شب عليه كبار العلماء والشعراء منذ صدر الاسلام،فقد نقلت لناكتب التاريخ والسير ونشأتهم الاولى في البادية مرتع الفصاحة،ومنهم بشار بن برد الذي قدر له أن تربى بين فصحاء العرب في بني عقيل،فشعره ينبئك بفصاحة ألفاظه،وبلاغة معانيه،تمكنه في العلم بأحوال العرب وعاداتهم وأيامهم وأخلاقهم[5].وهاهو الامام الشافعي (ت204هـ)يقوله كثير من العلماء بفضل البادية على حد ذكائه وفراسته،وغزارة علمه،وفطنته،وقدرته على الحفظ،وعلى سلامة عربيته وفصاحته،إذا جاء في سير أعلام النبلاء أنه "قد

(1) . عبد الرحمن بن خلدون،المقدمة ، دار الفكر بيروت،ط1، 2004،ص621.

(2) . المزهر في علوم الغة وأنواعها ج1،ص210.

(3) . علي بن برهان الدين الحلبي،رة الحلبية في سيرة مأمون ، دار المعرفة ،بيروت،ج1،ص98.

(4) . عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، الروض الانف، ، ،تحقيق عبد الرحمن الوكيل،دار الكتب الاسلامية ،ط1، 1967،ج2،ص168.

(5) . ديوان بشار بن برد،جمع وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور،وزارة الثقافة الجزائر،2007،ص47إلى53.

أوتي عذوبة منطق وحسن بلاغة وفرط ذكاء،وسيلان ذهن وكمال فصاحة،فعن عبد الملك بن هشام اللغوي قال:طالت مجالسنا للشافعي.

فما سمعت منه لحظة قط ،قلت:أني يكون ذلك.وبمثله في الفصاحة يضرب المثل ،كان أفصح قريش في زمانه ،وكان ممن يؤخذ عنه اللغة ،وقال الأصمعي (ت 216 م) أخذت شعر هذيل عن الشافعي[1] وقد اتخذ السماع أيضاً وسيلة لتعلم أبناءهم الكلام بمنظومات بسيطة ذات جرس قوي.وهو يعرف بأغاني ترقيص الأطفال[2].وكذلك تعليم الموهبين منهم الشعر ، إذا روي عن الخليل ابن أحمد الفراهيدي (175 هـ) أنه قال "بصرت بشيخ على باب يعلم غلاما ،وهو يقول له قل:نعم لا نعم لا لا،نعم نعم نعم لا ،نعم لا لا ،نعم لا ،نعم نعم.

قال الخليل:فدنوت منه فسلمت عليه ،وقلت له:أيّها الشيخ ،ما الذي تقوله لهذا الصبي ؟ أن هذا العلم شيئٌ يتوارثه هؤلاء الصبية عن سلفهم ؛وهو علم عندهم يسمى التنغيم [3]

ومما أثر عنهم أيضا أنهم كانوا يروون صبيانهم الأرجاز ، ويعلمونهم المناقلات ،ويأمرونهم برفع الصوت ، وتحقيق الإعراب ،لأنّ ذلك يفتق اللهاة ويفتح الجرم،واللسان إذا كثر تقليبه،رقاولان،وإذا أطلت تقليبه

وأطلت إسكانه جساوغلط"[4].

(1) . شمس الدين الذهبي ،سير أحلام النبلاء، ، مؤسسة الرسالة بيزوت، ط1، 1982،ج ن 10، ص 48، 49.

(2) . ، أحمد أبو سعد، أغاني ترقيص الاطفال عنذ العرب ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1982، ص 90.

(3) . سيد البحراوي ،العروض والايقاع الشعر العربي، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص 16.

(4) . أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 7، 1998، ج 1 ، ص 272.

اصحاب التحريات:

إن العلماء الذين سنذكرهم هنا إنما هم الذين حصل لهم سماع بالفعل من أفواه فصحاء العرب وخاصة الذين قاموا بتحريات في عين المكان أي كل من رحل إلى منازل القبائل المختلفة أو القرى المختلفة بحسب العصر الذي عاش فيه.

إن إبا عمرو بن العلاء هو الذي ابتدع كما قلنا، طريقة السماع اللغوي الميداني ولم يسبقه إلى ذلك أي لغوي آخر. وكذلك أبو محمد اليزيدي تجول في البدو ما يقارب أربعين سنة [1] ،ويقول الجاحظ أنه عرف الكثير من الفصحاء الذين عاشوا في زمان الجاهلية[2].

حيث قال إبن سلام عن أبي عمر "كان أوسع علما من إبن إسحاق الحضرمي بكلام العرب ولغتها و غيرها"، وسمعت يونس يقول لو كان أحد ينبغي أيؤخذ بقوله كله في شئ واحد كان ينبغي لقول أبي عمر بن العلاءفي العربية أن يؤخذ كله ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من قوله وذلك وقد أشرنا إلى أن علماء العربية هم الذين جمعوا أشعار العرب بالطريقة العلمية الائقة أي بمقياس موضوعية والجدير بالملاحظة أنهم كانوا من القراء في أقدم الأزمنة إلى غاية سيبويه.

ثم إن اجماع العلماء الذين تتلمذوا على أبي عمر أو هؤلاء على القول باشباع علمه بألفاظ العرب والنوادر كلامهم وفصيح أشعارهم وسائر أمثالهم[3]، هذا دليل على توسعه في تحرياته الميدانية ،فهذا تحول في كل من العراق إلى الحجاز ،اليمن، البحرين بحيث يقول الأصمعي أنشدنا عمرو في مختلف كتب الادب واللغة بهذا جمع الكثير من أقواله صاحب لسان العرب وذكر سيبويه آراء في الابنية الصرفية والنحوية وأما من علماء الكوفة المعاصرين الابي عمرو جاء بعده بعددمن السنين فالمفضل الضبي وهو أول من قام بما قام به أبو عمرو من التحريات في عين المكان وقد وثقه ابن سلام وغيره حيث تعلم منه طرائق التحري الميداني وتدوين الشعر ثلاثة اللغويين الذين خلفوه بعدوفاته الاصمعي

(1) . الزجاجي أبو القاسم،مجالس العلماء،تح عبلاد السلام هار ون ،الكويت،1962ص71.

(2) . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،البيان والتبين،ج1،تحقيق عبد السلام هارون ،القاهرة،1940-1947م،ص32.

(3) . أبو منصور الازهري ،تهذيب اللغة،تحقيق عبد السلام هارون،القاهرة،1964-1967م،ج1،ص08.

وأبوعبيدةوأبو زيد الانصاري ومن علماء الكوفة أيضا خالد بن كلثوم وهو قديم ذكره ابن سلام في كتابه،كما اشتهر في هذا العصر من أهل الكوفة في العربية والسماع عن العرب في القراءت الكسائي.

من تلاميذه أبي جعفر الرؤاسي وأكثر من ذكر سماع الكسائي في كتابه معاني القرآن قال "زعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون"وحكي الكسائي عن العرب بحيث خلف الكسائي القراء علي رأس علماء اللغة والنحوفي الكوفة ثم البغدادوإن أكثر من السماع عن بعض بني أسد المجاورن للكوفة إلا أنهم لم يكتفوا بذلك سمع من بني الحارث وعقيل وتميم وبني سليم وبني سعد.

فهؤلاء هم المؤسسون الحقيقون للسماع اللغوي العلمي وكلهم مدنيون لابي عمرو بن العلاء بالمبادئ العلمية التي بني عليها السماع اللغوي وطريقة السماع وأنواع التقنيات المتعلقة بها.

ولابدمن ذكر العالم الكبير المتخصص في سماع الشعر محمد بن سلام الجمحي وهو أول من حرر المبادئ العلمية لنقد السماع الخاص بالشعر وما جاء في كتابه "طبقات الشعراء"حيث مثله اللغوي النحوي أبوالحسن الاثرم سمع من الكثير من فصحاء العرب وقرأعلي الاصمعي وقرأعليه ثعلب وأبو العيناء ومن الكوفيين الذين أكثرو من سماع عن العرب نذكرأبا محمد عبد الله بن سعيد المشهورالاموي وأخذمنه ابن السكيت وأخذ عن أبي عمروالشيباني وابن الاعرابي وعن الاعراب أبو سعيد الضرير ومن اللغويين ثابت ابن ابي ثابت وعلي بن مبارك اللحياني ومنهم أبو نصر الباهلي ولابد من ذكر أربعة لغويين كان أصلهم من الاعراب الفصحاء نزحوا إلى البصرة أوالكوفة تتلمذواعلي علماء العربية أقدمهم المؤرخ السدوسي وأبومسحل ومالك عمرو بن كركرةوأبوالعميقل الاعرابي وأما من علماء القرنان الثالث والرابع تتلمذوا من البصرة علي أصحاب أبي عمرو أبوحاتم السجستاني وقرأعلي الاخفش أما من جاء بعده فبعضهم ألف كتبا ابي اسحاق الزيادي والتوزي وابي الفضل الرياشي أما تلميذا الاخفش أبو عمروالجرمي المازني فغلب عليهما النظر في النحو ومن الكوفيين الذين ينتمون إلى هذا العصر أبوالعباس ثعلب ومن أعلام هذا العصر في تدوين العلمي للشعر يسمى الصنعة لدواوين أبويوسف يعقوب ابن السكيت أبو سعيد السكري ابوالحسن الطواسي وأبو حنيفة الدنتوري وكذلك

يشير إلى عالم متميز في هذا العصر هوأبو علي هارون بن عيسى الهجري إلا أن السماع للغة لم ينته بنهاية القرن الثالث وواصل العلماء التأليف في اللغة ظهرت في نهاية القرن الثالث في القرن الرابع المعاجم الكبيرة الاولى بعد كتاب العين وهي الجمهرة لابن دريد وتهذيب اللغة لأزهري والصحاح للجوهري كما استمر التأليف للمجالس للامالي في اللغة والادب وآخر من سأل العرب في اللغة وسمع منهم هو ابن جني.

منهجية التحري

1)أنواع التحري

إن التحريات التي أجراها اللغويين في جولاتهم الاولى كانت تهدف بدون شك إلى الجمع الواسع النطاق للمعطيات اللغوية ولاتتحصر في البحث عن نوع واحد من المعطيات ولم تحض منطقة معينة وهذه التحريات المبسطة المتسعة إلى أكثر من إقليم كالتي قام بها أبوعمروبن العلا فكان ينظر اللغويين يعد ذلك فيما جمعه من نصوص شعراونثرا وهذا يسمح له بأن يصح أن"هذه لغة كثيرةفي العرب"[1]فكلما استعمل اللغويين كلمة تدل على التعميم "ككل وعامتهم "أو"جميع لغات العرب"وغير ذلك إشارة واضحة إلى أن الهدف من التحري كان الجمع الواسع للمعيطات كالذي حصل في التحريات الاولى الشاملة ولا نستبعد أن نكون نكرر بالنسبة إلى نفس الفريق.[2]

وكثرت الحكايات في كتب الادب عن مثل هذا السماع حيث يقول فيهاللغوييون للأعرابي هل تنشدشعراأم نقول؟ وقد يكون السماع مكثفا يعني فيه بموضوع معين ويكون فيه عدد الموردين محصورا يقتصر فيه اللغوي على مورد واحدأو اثنين يكون إما من المعتمدين إما من العارض منهم وقديكون الهدف محصورا مثل هذا إلاأن المسموع عنهم قد يكونون كثيرين وذلك مثل البحث الذي قام به أبوزيد للتأكد من حركة عين المضارع في الاستعمال وأما الموردون المعتمدون فقدكان لقاء اللغويين معهم والسماع منهم هو دائما لهذا الغرض يطلب منهم أن يجيبوا عن الاسئلة معينة تخص إنشاد بيت

(1) . أبو بشر بن عثمان سيبويه،الكتاب،طبعة بولاق1، 1316-1317هـ، ص314.

(2) . المرتضى ،الامالي المرتضى،ج1-تحقيق أبو الفصل إبراهيم ،القاهرة، 1387هـ-1967م،ص398.

الشعر علي كيفية معينة أو إعراب خاص أو السؤال عن معناه أومعنى مفردة معينة وهكذا وهذا أيضا يكثرمجيئه في كتب الادب ولاسيما في المجالس والامالي.

تقنيات السماع

تقنيات السماع قديكون أيضا:

أ)**سلبيا:** أي بدون تدخل من التحري يكتفي فيه السماع لما يقوله المورد وتسجيله فقط في هذا النوع من السماع يريد اللغوي أن يتحصل في غالب الاحيان على معطيات لغوية جديدة من فصحاء العرب في جهة معينة أو قبيلة أو بطن معين.فهذا يدخل في السماع الشامل الرامي إلى الجمع الواسع للمعطيات اللغوية،وكثيرا يحصل هذا السماع بالمصادفة ويكون المسموع تلقائيا وأكثر عفوية من السماع وجودة هذا المسموع عالية جدا الانه يحصل في أحوال خطابية طبيعية وتثيرها أحداث الحياة العادية،وهذا السماع يسميه اللغويين القدامى استلغاء جاء في اللسان قال أبو سعيد إذا أردت أن تنتفع بالاعراب فآستلغم أي اسمع من لغاتهم من غير مسألة،[1] فأما كتب الامالي فتحكي الكثير مما يحصل فيمثل هذه الاحوال من التخاطب وهذه بعض المقامات التي ذكرها:

-رجل ينصح صديقا له ثم حديث شيخ مسن[2].

-شاب عاشق يقول شعرا.

وهذا بكثر ذكر الحكايات عن الاعراب في كتب الادب والراوي المنسوب إليه هو غالبا الاصمعي ودليل على ذلك الشكل القصصي الذي تتصف به غالب الحكايات.

(1) . عبد الرحمن الحاج صالح ،السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة،موفم للنشر،دط،الجزائر،2007،ص378)

(2) . المرتضى،آمالي المرتضى،ج1،تحقيق أبو الفصل ،القاهرة،1387هـ،1967م،ص14.

ب)نشيطا

يتدخل المتحري وينشط فيه فلا يكتفي بالسماع والتسجيل بل يبادر بإلقاء الاسئلة على المورد ويكون ذلك حوارا وفي ذلك على تمرس يكتسبه المتحري بطول مخالطته لأعراب ومباشرته لهذا العمل ولاشك أن أبا عمرو العلا قد كان له حيزة كبيرة في ذلك لطول إقامته بين العرب الفصحاء وكذالك كل من تتلمذ عليه في هذا التدخل طريقتان هما

1-الاثارة الايحائية:وهي التي يسميه اللغويين القدامى **بالتلقين.**

2-مجرد السؤال كل ما يخص استعمال اللغة ومعاني مفرداتها وتراكيبها.

النوع الاول يبادر اللغوي باستطاقه المورد وحثه على الكلام أو إنشاد الشعر أوكلاهما معا من جهة وحمله على التطرف لموضوع معين الاجراء حديث معه في حدود هذا الموضوع الذي يهم اللغويين ولا يقصد من ذلك في هذه الطريقة أن يجيب المورد عن السؤال معين بل المقصود يبقى هنا للحصول على نص أوعدة نصوص عفوية مثل ماهو جار في السماع السلبي والفارق بينهما هو حمل اللغوي للمورد على علاج موضوع معين.

أما النوع الثاني من الطريقة وهو السؤال المباشر في استعمال اللغة فيختلف فيه غرض المتحري فالذي يقصده هنا ليس الحصول على نصوص جديدة لم تسمع أو على تأدية نص محفوظ بل يريدأن يحصل على كيفية استعمال المورد لشيء بعينه مباشرة،من خلال كلامه العفوي فهو يلتقي عليه سؤالا[1].

(1) . عبد الرحمن الحاج صالح،السماع اللغوي العلمي عند العرب ،مفهوم الفصاحة ،موفم للنشر ،دط،الجزائر،2007،ص381إلى384.

ثالثا: مقاييس الصحة لمحتوى المسموع:

المقاييس العامة: يعتمد علماء اللسانيات الغربيين في وصفهم العلمي على ما يسمونه بالمدوّنات اللغوية، وهي عبارة عن مسموع مسجّل يتكون من كلام تكّلم به بعض من يمثل حقّ التمثيل اللغة المراد وصفها. والسؤال الذي يجب ان نطرحه بالنسبة لدراستنا هذه هو: هل المسموع العربي الذي سبق ان وصفناه: يوافق أو يخالف محتواه التصور الذي يتصوره هؤلاء العلماء الغربيون في زماننا لما سموه بالcorpus؟

يحدّد البنيويون(structuralists) من اللسانيين الغربيين مفهوم المدوّنة اللغوية: «هي مجموعة من النصوص جُمعت في مكان معين وزمان معيّن بغية وصفها الوصف العلمي من الناحية اللغوية». وتعتبر هذه المجموعة كمجموعة معطيات وإذا تم الجمع فلا يجوز أن تُمسَّ بتغيير أو بزيادة أو بحذف ويتوقف وصف اللغة بالاعتماد على ما يوجد فيها ليس إلا[1]، وما يتصف به هذا النوع من المدوّنات هو استجابته لما يتطلبه التشدّد العلمي لأننا نخشى إذا لم نتقيّد بذلك، أن يكون وصف الباحث للغة من اللغات، هو في الواقع، وصف للغة الباحث نفسه وربما لما له من لغته الخاصّة[2] ويقول أحد هؤلاء العلماء وهو كريماس: «يشترط في إنشاء المدونات ثلاثة شروط وهي: ان تكون ممثلة للغة وشاملة وغير مختلطة».[3]

حتى يمكن أن توصف اللغة التي تنتمي إليها هذه المدونة كيفية موضوعية.

ولنلاحظ أن ما جاء به البنيويون من جديد هو إغلاق المدونة وأنماط تركيبها والامتناع المطلق وبالتالي من أيّ زيادة فيه. فهل هذا التصور يوافق أو لا يوافق التصور العربي لما سمعه العلماء العرب؟ يجب أن نقول قبل كل شيء أنّ المدوّنة اللغوية ليست بالضرورة مجموعة نصوص مستقلة يقوم بجمعها لغوي واحد إذ يمكن أن نتصور أن يكون عدد من اللغويين يشتغلون بنفس اللغة.

(1). عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب مفهوم الفصاحة، موقم للنشر ، الجزائر، 2007، د ط، ص267.

(2). أندري مارتين، مبادئ في اللسانيات العامّة، دار الآفاق، د ط، ص31.

(3). نفس المصدر، ص143.

ويقوم كل واحد بتحريات ميدانية حول اللغة المعينة فإذا صحّ أن نسند ما يجمعه كل واحد منهم إلى نفسه فلا مانع أن نقول عن مجموع هذه المدونات حول اللغة الواحدة أنّها المدونة أو المسموع المدون عن هذه اللغة. فهكذا كان مسموع العلماء العرب القدامى.

هذا وينبغي أن نتساءل عن اختيار ما جمعوه من النصوص على أيّ مقياس علمي حصل ذلك، يجب أن نعترف أنّ المسموع العربي هو مجموعة من النصوص جمعت في داخل تراب معين حدّد العلماء تخومه وسكانه، واعتبروا أيضا أنّه غير قابل لأيّ تغير من قبل الآخذ المدوّن إذا لا يجوز أبدا أن يضيف اللغوي أي شيء ليس منه، فأي نص أو عبارة سمعت من أهل اللغة يجب على اللغوي أن يدوّنها كما وردت عند اهل هذه اللغة وهم هنا فصحاء العرب وحدهم لأنهم يتكلمون بالعربية الفصيحة والاعتراض الوحيد الذي يمكن أن يوّجه إلى مسموعهم بحسب مفهوم المدونة اللسانية البنيوية هو الاتساع الكبير لأماكن الفصاحة التي سمع فيها أو روي عنهم.

فكثيرا ما يقول اللغويون أن هذه اللغة قديمة ثم إنّ هناك سماعا حصل بعد سيبوية وبعضه كان في زمانه على يد الكوفيين كسماع بعض ربيعة يقفون على المنصوب بالسكون، فهذا شيء لم يعرفه سيبوية وعرفه الاخفش تلميذه وربّما أخذه –كأشياء كثيرة أخرى – من الكوفيين. وخلاصة القول في هذا الاعتراض الذي يجعل من مسموع العلماء العرب شيئا بعيداً عن المدونة اللغوية الحديثة، هو تغطيته لمكان واسع جداً ولزمان طويل جداً يتعذر أن تبقى اللغة فيه على ما كانت عليه.

يمكن أن نجيب على هذا الاعتراض بما يلي:

فإنه غير صحيح أولاً أن لا يمكن أن تحتوي المدونة اللغوية– في أي وقت كان– إلاّ على استعمالات مطردة منسجمة وألا تكون منها عناصر قديمة أو محدثة أو بعبارة أخرى ألا تحتوي على تحوّلات زمانية(دياكروتية) بدعوى أنّها تختص بحالة أو وضع واحد للغة في زمان واحد.[1]

يقول Greimas بهذا الصدد: «إنّ التغيرات الصادرة من المتكلم تتكرر في داخل المدونة الفردية: فما يصدر من كلام متكلم واحد يحصل بالضرورة في محور الزمان، ثم إذا كان هناك كلام تفصله عن كلام آخر(بنفس اللغة) لمدّة ثلاث ثوان أو مدة ثلاث قرون فهذا لا يغيّر جوهر

(1). عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي، ص269.

علاقاتهما الزمانية[1]»، ويصرّح مارتيني أن:«كل لغة تصاب بالتغير في كل وقت....فيكفي أن ننظر مجاري استعمالها بالتفصيل لنكشف عن بعض المسائل التحويلية يمكن أن تفضى بها بعد مدّة طويلة إلى لغة غير اللغة الأولى».

وعلى هذا فليس من مدونة إلاّ وفيها هذه الاختلافات الناتجة عن التحوّل الطبيعي عبر الزمان، هذا وما يسمونه بـ « الحالة اللغوية» هو مفهوم جدّ نسبي، فقد بيّن العلماء الآن وخلافا «للنّحاة المحدثين» أنّ التحولات الصوتية في اللغات تحصل دفعة فهي تحولات في كيفية التلفظ بحرف مفاجئة تطرا فجأة وتبقى بجنبها الكيفية القديمة ودرجة انتشار النطق الجديد أو بقاء النطق القديم قد لاحظه علماؤنا[2]

يمكن أن نستنتج أنّ التحولات التي تصيب اللغة في الزمان كالتحولات التي نجدها داخل الأرض الواحدة: ثبوت النظام اللغوي أو تحوّله جزئيا أو كليا يمكن أو يعوق تدريجيا هذا التفاهم حتى يصير ممتنعاً تماماً لتحوله إلى نظام آخر أي إلى لغة أخرى.

وعلى هذا فإنّ العلماء العرب كانوا يقصدون هذه العربية كنظام لغوي خاص ثابت عبر المكان والزمان يُمكن أن يُعرف بمقياس واحد وهو إمكانية التفاهم به إلى أن يصير ذلك ممتنعاً.

أ. خصائص المسموع اللغوي العربي ونقد المفهوم البنيوي للمدونة:

يحتاج مفهوم المدونة الذي تصوره البنيويون إلى نظر ومناقشة، فلا بدّ من أن نقول بالنسبة إلى اللغوي العربي القديم بأنّه لم يفكر في يوم من الأيام أن يعتمد في وصفه اللغة العربية على مدونة مغلقة تدوّن مرّة واحدة ونهائية « حتّى يتفادى كما يرجوه البنيويون المحدثون ما يمكن أن يحدثه هو نفسه من الكلام الذي يوافق مذهبه اللغوي ويمزجه بكلام غيره ممن سمع منهم» فالحل الذي يقترحونه لضمانها وهو إغلاق المدونة هو شيء غريب عنهم، فما كانوا يدونونه منذ أوّل سماع يبقى طوال السنين

(1). آندريه مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامّة، ص149.

(2). ابن جنّي ، الخصائص، ج1، تح محمد علي النجار، القاهرة، 1386-1389، ص386.

مفتوحا ونعني بذلك ما سبق لنا أن قلنا بأنّ أيّ لغوي في ذلك الزمان كان يمكنه أن يسمع من فصحاء العرب في أي وقت شاء، وأن يروي ممن شيوخه ومما سمعه منهم.

فسماع هذا اللغوي لا ينحصر فيما سمعه هو ودوّنه بنفسه مباشرة من فصحاء العرب- وكان يمكن أن يكتفي به في نظر البنيويون بل يتألف من جميع المعطيات اللغوية التي وصلت إليه إلى حدّ ذلك الوقت.[1]

ويكوّن هذا الذي تجمّع من سماعه وسماع غيره طول حياته مجموعة مكتملة من النصوص مهما كان. إلاّ أنّ هذا المسموع يبقى عند هذا اللغوي مفتوحا في كل وقت مادام يشتغل بالبحث في اللغة العربية، والواقع أنّ اهتمام العلماء القدامى كان منصبا دائما على توسيع دائرة معرفتهم بالعربية طوال العصور التي حصل فيها السماع وعلى هذا أضافوا إلى ما كان عندهم كل المعطيات التي لم تسمع بعد إلى غاية زمانهم وزد على ذلك اهتمامهم العظيم في التأكد من صحة ما وصل إليهم والوقت الطويل جدا الذي كانوا يقضونه في التحقيق للمعطيات فلا نبالغ إذا قلنا ان جلّ أعمالهم في السماع كان ينحصر في تفقدهم في عين المكان أو عند الثقات من العلماء الاستعمال الحقيقي لعدد كبير من ضروب الكلام وعن مدى شيوعه عند أكبر عدد ممكن من العرب الموثوق بعربيتهم، وكان التحقيق لا يختص بالخبر أو الرواية بل يتناول أيضا-وبكثرة-أقوال العلماء ومذاهبهم العلمية.

فمجموع هذه النصوص المحققة التي قضى في جمعها وتحقيقها العلماء الأوّلون بمثل ما يعادل المدونة اللغوية الحديثة من حيث هي نصوص تمثل بكيفية موضوعية اللغة المراد وصفها فقط.

ويمكن أن يقول قائل: إذا كان الأمر كذلك فبأي شيء كان العلماء العرب المتحرون يعصمون أنفسهم من الاهواء والسلوك غير العلمي كإدخال النصوص التي تناسب أهواءهم ومذاهبهم اللغوية والسكوت كما يعارضهم في ذلك؟ فإننا رأيناهم بالفعل يبحثون دائما عن معطيات جديدة، أفلم تكن في نيتهم هذه الرغبة في الانتصار لمذهبهم خاصة ودحض حجج الخصوم بذلك؟

يمكن أن نقول في الإجابة أنّه ليس من الغريب أن يحاول اللغوي الدفاع عن مذهبه بالبحث عن المزيد من الحجج المسموعة من الفصحاء وقد يكون العكس فهو الغريب، كما أنّ اللجوء إلى

(1). عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص272.

المدونة المغلقة لتفادي الذاتية في التحري اللغوي هو أيضا فكرة غريبة- نعم قد وجد منهم- وهم عدد قليل جداً- بعض أهل الكوفة- خاصة كانوا يباهون بما وجدوه غريب العبارات والاستهتار بالغريب من الشعر أو الكلام المنثور فيضيفون إلى المسموع ما لم يقع عليه إجماع في ثبوته.

وحصل العكس عند المبرد وهو الرّد الباثّ لكل مسموع لا يوافق مذهبه والحق أنّ هذا لم يحصل بتاتا عند الأكثرية الساحقة من العلماء وخاصة عند سيبوية وشيوخه وسيرد المبرد على العلماء في ذلك ردّا شديداّ كما سنراه فيما يلي، فعلى الرغم من وجود هذا العدد الضئيل من اللغويين غير النزهاء فإن ما يوّجه إليهم من عدم التحرَج في الرواية والسماع لا يمكن أبدًا أن ينطبق على الجماعة وذلك لأسباب كثيرة منها:

1. أن اللغوي العربي الذي ينتمي إلى هذه الجماعة لا يعتمد فقط في الوقت الذي يقوم بتحليل المعطيات اللغوية طوال عمله هذا على ما سمعه ودوّنه هو بنفسه بل أيضا على جميع المسموع أي كل ما سمعه ودوّنه العلماء إلى ذلك الوقت وكان تحت تصرفه[1] وفي متناول يده: من قراءات قرآنية وشعر جاهلي وإسلامي والآلاف المؤلفة من العبارات التي تكدّست في المسموع عن الفصحاء منذ داية السماع والتدوين.

2. ثم إنّ هذا المسموع كان لا يجوز للغوي أن يمسه بتغيير أو زيادة إطلاقا، فإن جاز أن يزيد في حجمه بإضافة ما سمعه من معطيات جديدة فلا يتم له ذلك إلا بإجماع العلماء على صحته أي بأن يكون كل العلماء أو أكثرهم سمعوا ذلك فلا يعترض على صحته أي واحد: فعدم اعتراض العلماء اللغويين على ما يرويه أحدهم هو الدليل الأهم عندهم على صحة روايته.

3. فيستنتج من ذلك: **أولا**: أنّ اللغوي وغيره لا يمكنه أبدًا أن يصرح بأي شيء يخص الوجود بالفعل لضرب من الكلام أو صيغة مفردة أو تركيب بدون رجوع دقيق إلى هذا المسموع الجماعي وبدون الاحتجاج به.

(1). سيبوية، الكتب، طبعة بولاق، ج1، 1316-1317هـ.

ثانيا: أنّ هذا السلوك العلمي هو الذي يمنع الباحث من أن يقول بهواه لأنّ هذا الهوى من المحال أن يشاركه فيه جميع العلماء المعاصرين له و السابقين عليه فهذا هو أصح مما يمكن أن يوثق به خبر وأنجع وسيلة لتحقيق الموضوعية.

فالرجوع إلى عالم من المعطيات تصوّره العلماء كمجموع العمليات والمشاهدات السماعية التي اجريت واجمع على صحتها بتوافق تام بين مسموع بعضهم ومسموع بعضهم الآخر يبدو لنا أقرب بكثير إلى السلوك الذي يتصف به العالم المتعطش في الوقت نفسه إلى الزيادة في العلم وإلى التشدّد الكبير في قبول المعطيات، وهذا أبعد ما يكون من مفهوم المدونة المغلقة.

ويمكن أن نتصور ما أنتهجه علماؤنا القدامى من توثيق الجماعة من أهل الاختصاص لما يأتي به الباحث من المعطيات وهُوَ أكثر موضوعية من التعسف الذي دعا إليه البنيويون من الاكتفاء المطلق بمدونة مغلقة لأنّ المنهج العربي هو رجوع إلى المسموع الجماعي لا إلى مسموع شخص معيّن وبذلك يعصم الباحث نفسه من الاختيار الذي أساسه الهوى ومما هو في نفس الخطورة وهذا المذهب «الذرّي» الذي اختص به هؤلاء البنيويون.

ب. الاعتراضات على الشواهد والمسموع عامة: ما قيمتها العلمية:

من المعروف أن الطريقة العلمية السليمة فيما يخص تقبّل المعطيات التي يتحصل عليها الباحثون هو التوقف عن تصديق ما يقوله أو ينقله الباحث ما لم يقم الدليل على صحته، وقد يصير هذا التوقف شكًّا بل إنكارا بذلك إذا خالف جميع الباحثين الآخرين: وهذا التوقف أو الشك المنهجي هو شيء حاصل في بحوث العلماء القدامى، يقول أحد المعلّقين على كتاب سيبويه بخصوص صيغة الفعل: «أما جَبَى يجبى وقلَى يقلى فغير معروفين إلا من وجيه ضعيف فلذلك أَمْسَكَ عن الاحتجاج لها وكذلك: عضضت/ تعض غير معروفة»[1] يعني «بالوجه الضعيف» الرواي الضعيفة وهي التي لم ترد عن ثقة أو لتسمع من فصحاء العرب، وقال سيبوية أيضا عن عيسى بن عمر الثقفي- وهو عالم كان أسنّ منه بكثير وهو من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء وزميل للخليل بن أحمد: «وزعم عيسى بن عمر أنّ ناساً من العرب يقولون: «إذن أفْعَلُ ذاك في الجواب، فأخبرت يونس بذلك فقال: لا تبعدن

(1)ماهر عباس جلال ،شرح ابن خروف، ، مجلة المجمع الأردني، العدد 64(2003)، ص187.

ذا ولم يكن ليروي إلاّ ما سمع»[1]، وهذا لم نعثر عند سيبوية إلاّ على اعتراضات قليلة لما كان سمعه من شيوخه، وهذا دليل لا على تسامح سيبوية وقبوله لكل ما يروى له بل للأمانة العظيمة التي كان يتصف بها العلماء الأولون، وشهادة الجاحظ على ذلك معروفة: « فالعلماء الذين نقلوا إلينا وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثا منثورا أو جعلوه رجزاً أو قصيداً موزوناً»[2].

وهناك مثال آخر لهذه الأمانة التي عرفه بها علماؤنا القدامى فقد قدّم أبو حاتم السجستاني اعتراضا على ما حكاه له شيخ الجيل في ذلك الزمان وهو أبو زيد الأنصاري: قال في كتاب المذكر والمؤنث: «وحدثني أبو زيد انّه سمع من العرب من إذا قيل: أين فلانة وهي حاضرة قال: ها هو ذه» فأنكرته وتعجّبت فرددته مستفهما فقال سَمِعتُه من أكثر من مائة نفس وكان صدوقا.[3]

(1) سيبوية. الكتاب، ط بولاق، ج2، ص412.

(2) الجاحظ ،الحيوان، تح عبد السلام هارون ، ج4، القاهرة1940، 1947، ص412.

(3) أبو حاتم الجستساني، كتاب المذكر والمؤنث، تح عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، حلب- سوريا، دون تاريخ. ص210.

رابعا: سماع الكوفيين وسماع البصريين:

1. اعتماد النحاة على النثر أكثر من اعتمادهم على الشعر.

أمّا ما ادّعوه من أنّ الشعر هو وحده كان المادة التي استخرجوا منها أوصاف العربية وقواعدها فيكفي أن نذكر هذه الضروب من الكلام التي اعتمد عليها سيبوية أو ذكرها كحجج لما أثبته منه، وها هي ذي نبذة من ذلك:

«وذلك قولك: ضرب عبد الله زيدًا» « فعبد الله» ارتفع همنا كما ارتفع في «ذهب» وشغلت ضرب به كما شغلت به «ذهب وانتصب «زيد» لأنّه مفعول به تعدّى إليه فعل الفاعل، فإن قدّمت المفعول وأخّرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل وذلك قولك: «ضرب زيدًا عبد الله»...[1]

«ويتعدّى هذا الفعل إلى كل ما اشتُق من لفظه اسما للمكان وإلى المكان... وذلك قولك: ذهبت المذهب البعيد».... وقد قال بعضهم: «ذهبتُ الشام» وجلستُ مجلسا حسناً وقعدت مقعداً كريماً وقعدت المكان الذي رأيت وذهبت وجها من الوجوه «وهذا شاذ[في القياس] لأنه ليس في ذهب دليل على «الشام» وفيه دليل على المذهب».[2]

تقول: « كانَ عبدُ الله أخاكَ» فإنما أردت أن تخبر عن الأخوة وادخلت« كان» لتجعل ذلك فيما مضى وذكرت الأول كما ذكرت المفعول الأول في ظننت وإن شئت قلت: كان أخاك عند الله فقدمت وأخّرت كما فعلت ذلك في «ضرب» إلاّ إن اسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد.»

– وتقول: «من أخاك» و «من كان أخوك» كما تقول: «من ضرب أباك» و «من ضرب أبوك... ومثل قولهم: «من كان أخاك» قول العرب: «ما جاءت حاجتَكَ » كأنّه قال: « ما صارت حاجَتَكَ»... وزعم يونس أنّه سمع رؤية يقول: « ما جاءتْ حاجتُكَ» فيرفع.

(1). سيبوية، الكتاب، ج1، ط بولاق، 1316-1317هـ، ص14-15.
(2). نفس المصدر، ص15.

يقول سيبوية في المجموعة الأولى من تحليلاته: « وذلك قولُك» ويأتي بكلام ثمّ يوضّح بنيته النحوية: فعل « شغلَه»[1] اسمٌ وجاء بعدها اسم ثانٍ فارتفع الأول كما ارتفع « زيد » في «ذهب زيد وانتصب الثاني».

ونص على جواز تقديم الثاني على الأول وأخبر أيضا عن سماعه وسماع غيره من العلماء أن التقديم هنا هو عربي جيد كثير.

ثم ذكر أنّ الفعل يتعدّى أيضا إلى مفعول فيه وهو المكان لأنّ في الفعل دلالة على المكان لا مكان معيّن بل مكان عام. ونصّ على سماع آخر وهو قول بعضهم « ذهبت الشام»فيقول إنّه شاذ لأنّه مكان معيّن (وكان يجب إدخال حرف الجر) فالملاحظ هو أن القياس المطرد استعمال الفصحاء قد سمع منه سيبوية والعلماء قبله الآلاف الأمثلة فيكتفي بذكر مثال وهذا المثال قد سُمع هو بعينه وقد يكون على قياس ما سمع . ويذكر بعد ذلك تنوع هذا الاستعمال ويؤكد على أنّ التقديم للمفعول على الفاعل هو مسموع من العرب بكثرة فائقة فهو عربي جيد: ولا يحتاج هنا أن يذكر عبارة سمعها هي بعينها لأنّه سمعت مثلها من العرب الآلاف من العبارات.

أما فيما يخص المفعول الذي يدل على المكان فالذي يدل عليه الفعل دلالة عقلية لا وضعية هو المكان العام لا المكان المعين ومع هذا وجد في المسموع عبارة «ذهبت الشام» فيذكرها بعينها لقلة ما ورد في المسموع ما هو مماثل لها أي ما هو من بابها وقد تكون هي بالذات سمعت من الكثير من العرب.

وأما المجموعة الثانية فيذكر سيبوية هنا كلاما تطّرد بنيته في المسموع بأوجهها المختلفة ويلحق كعادته هذه البنية بالجنس من البنى الذي تنتمي إليه وهو الفعل مع فاعله وما يدخل عليه من الزوائد ويبين الفرق: « فكان» تتصرّف كفعل ويجوز فيها من التقديم والتأخير ما يجوز للفعل إلاّ أنّ فاعلها ومفعولها يدلان على شيء واحد دائما. ويذكر سيبوية التنوعات التي تطرد على شكل أمثلة قد تكون سمعت هي بعينها او قيست على المسموع[2].

(1). نفس المصدر، ص24-25.

(2). عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقم للنشر، د ط، الجزائر، 2007، ص327.

ويذكر- كما فعل في الأول- كلاماً سُمع هو بعينه وهو قول العرب: «ما جاءت حاجتَك». فيبيّن أنّه جاء على بناء «من كان أخاك[1]»ويؤكد ذلك بما سمعه من العرب: «من كانت أمّك». فهذا قد يبدوا أنّه شاذ(عن بابه) وليس بشاذ لأنّه جاء على بناء ما هو مطّرد (استبدال الفاعل بالمفعول والعكس وهو مع ذلك شاذ من ناحية أخرى وهو تأنيث الفعل ويفسر ذلك سيبوية بأنه جاء كالمثل والمثل يأتي دائما على صيغة جامدة، ثم يلاحظ أنّه قد وردت في المسموع أيضا هذه العبارة بعينها بالرفع: «ما جاءت حاجتُكَ» ويؤكد أن العرب الذين سُمع منهم ذلك كثيرون.

وهناك أمثلة كثيرة جداً مماثلة لهذه التي ذكرناها على هذا النمط نذكر منها ما يلي:

يقول: « وسمعنا من يوثق به من العرب يقول: « اجتمعتْ أهلُ اليمامة»لأنّه يقول في كلامه: اجتمعت اليمامة يعني اهل اليمامة فأنّث الفعل في اللفظ إذا جعله في اللفظ لليمامة فترك اللفظ على ما يكون عليه في سعة الكلام.... وترك التاء في جميع هذا الوجه والحدّ وسترى ما إثبات التاء فيه جيّدا إن شاء الله من هذا النحو لكثرته في كلامهم

- يقول سيبويه : « تقول: ما عبد الله أخاك وما زيد منطلقا. و أما بنو تميم فيجرونها مجرى أمّا وهل أي لا يُعملونها في شيء وهو القياس لأنّه ليس بفعل وليس " ما "ك" ليس"... وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس إذ معناها كمعناها.... ومثل ذلك قوله عزّ وجل:« ما هذا بشراً» يوسف 31 وبنو تميم يرفعونهاإلا من درى كيف هي في المصحف .. فإذا قلت :(ما منطلق عبد الله)... رفعت.... ولا يجوز ان يكون مقدما مثله مؤخراً وتقول: «ما زيدٌ إلاّ منطلق» تستوي فيه اللغتان....»[2].

- يقول أيضا: «إذا قلت: أنّه من يأتينا نأته»... فمن ذلك قول بعض العرب: «ليس خلق الله مثله»: فلولا أن فيه إضماراً لم يجز أن تذكر الفعل ولم تُعمله في اسم ولكن فيه من الإضمار مثل ما في إنّه» «وقد زعموا أنّ بعضهم يجعل «ليس» «كما» وذلك قليل لا يكاد يُعرف فقد يجوز ان يكون منه»: ليس خلق الله مثله أشعر منه» و«ليس قالها زيد... هذا كله سُمع من العرب. والوجه

(1). ابن السيرافي، شرح أبيات سيبوية، تح محمد علي الريح هاشم، دار الفكر، القاهرة، 1947م، ص392.
(2). نفس المصدر، ص28-29.

والحد أن تحمله على انّ في ليس إضماراً وهذا مبتدأ كقوله: «إنّه أمة الله ذاهبة». إلاّ أنّهم زعموا انّ بعضهم قال: «ليس الطيب إلا المسكُ وما كان الطيب إلاّ المسكُ».[1]

– مما تقدم أنّ سيبويه وهو من النحاة المتقدمين المبدعين اعتمد اعتماداً واسعاً على ما سمعه هو من العرب وما سمعه من سبقه من العلماء وأما ما يخص لغة التخاطب ففيما يعرضه في كتابه من العبارات النثرية نلاحظ:

– يكتفي بذكر عبارة واحدة وما يتصرف منها تكون مسبوقة بقوله: « وذلك قولك» و «تقول» و تكون هي المثال أي النموذج اللفظي والدلالي لضرب من الكلام سمعه أكثر من مرة من العرب وهو من سبقه من العلماء وتمثل هذه العبارة:

– ضربًا واحدً من الكلام المطرد أو الكثير الاستعمال ووصفه له هو الضابط المحوي الذي استنبطه هو أو النحاة الآخرون من السماع الجماعي للمئات وأحيانا الآلاف من العبارات في شتّى الحالات الخطابية وشتّى الجهات حدًّا وأصلاً وباباً، وذلك مثل: « ضربَ عبد الله زيداً» و «ذهبتُ المذهبَ البعيد» و«كان عبد الله أخاك» و « الضارب زيدًا»...

– يذكر سيبويه الكثير من الحجج التي سُمعت هي بعينها ورويت وفيها يخص المنثور من كلام العرب فقد تكون:

- وجها من وجوه الحد وهو عربي كثير وجيد وليس هو الحد مع ذلك وعباراته هي مماثلة للعبارات النموذجية من النوع الثاني الذي سبق ذكره إلا أنّها سمعت كلها هي بعينها من أفواه العرب وتكون مسبوقة في الكتاب بـ: «من ذلك قول العرب» أو «هذا قول العرب» أو «بعض العرب» وقد يكون هذا الوجه لهجيا وغير لهجي، وذلك مثل: « زيداً ضرب عبدُ الله» و «ما جاءت حاجتُكَ» و « الضاربُ الرجُلِ».

والخلاصة مما سبق هو أنّ الأصول أي الحدود والأبواب المطّردة لا يمثل لها سيبوية ومن سبقه بأمثلة مسموعة هي بعينها لكثرتها الهائلة واستئناس العرب والعلماء[2] بها بل بأمثلة تكون في الغالب

(1). عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقم للنشر، د ط، الجزائر 2007 ، ص328 .
(2). سيبوية، الكتاب، ج1، ط بولاق، 1316، 1317هـ.

نموذجية إلاّ أنّها تمثل بالفعل كل ما سمع من الكلام المطرد وما يتفرع عنه، ولا يذكر سيبويه من كلامهم العادي الذي كان يجري يوميا في مخاطباتهم إلا الوجوه من الكلام التي ليست حدّا في ذاتها ولم تأت في جميع لغات العرب وذلك مثل لغات القبائل أو الضروب من الكلام الخاصة التي ليست لهجية بل توجد بكثرة أو بقلة هنا وهناك في شبه الجزيرة عند فصحاء العرب ليس إلاّ.

2.سماع الكوفيين لكلام العرب المنثورة:

أمّا فيما يخص النحاة الكوفيين فإن نحن نظرنا في أقدم كتاب وصل إلينا منهم يتعرّض فيه صاحبه إلى كلام العرب- وهو معاني القرآن للقراء- فإننّا نلاحظ أنّ القرّاء عندما ينسب إلى العرب الكثير من ضروب الكلام فواضح أنّ كلامه هذا قد سبقه تصفح منه واسع جداً- كجميع النحاة الأولين.

ثم قد ذكر في هذا الكتاب عددًا كبيراً من الشواهد النثرية، فهو مثل سيبويه يستشهد بما سمعه هو بنفسه أو ما نقله عمن سبقه من النحاة- وخاصة شيخه الكسائي- فيقول مثلا:[1]

«العرب تجعل اللام التي على معنى «كي »في موضع «أنْ» في أردت وأمرتَ فتقول: «أردت أن تذهب» و «أردتَ لتذهبَ»... »

«والعرب تقول... ويقولون «ذهبت الشام » و«ذهبت السوق» و«خرجت الشام» سمعناه في الاحرف الثلاثة: خرجت وانطلقت وذهبت وقال الكسائي:سمعت العرب يقولون: « انطلق به الفور» فتنصب على معنى إلقاء الصفة[2].. واستجازوا في هذه الحروف إلقاء «إلى» « لكثرة استعمالهم إياهم وقولهم:«هو الضارب الرجل» فإنهم يخفضون الرجل وينصبونه وقلم تقول العرب: «زيد ا عليك » أو«زيدا دونك»وسمع بعض العرب تقول:"كما أنت زيدا"و"مكانك زيدا" 8585

يتبين من هذه النصوص أنّ القرّاء ينتهج كنحوي المنهج الذي سار عليه سابقوه من البصريين وخاصة سيبويه فهو يذكر دائما من كلام العرب المنثور عبارات يكون سمعها هي بعينها أو جاء على

(1). أبو زكريا الفراء، معاني القرآن، ج1، تح محمد علي النجارة، القاهرة، 1955-1966 م، ص271.

(2). عبد الرحمان الحا ج صالح ،السماع اللغوي عند العرب و مفهوم الفصاحة ، ص332.

مثال ما سمع منهم، أمّا هذه الا خيرة فهي حدود ومُثُلْ مفردة أو كثرة وتكون مسبوقة غالبا بقوله: « تقول العرب» ويرد ذلك على لسانه كثيرا جدا أو بقوله «من كلام العرب أما ما سمعه بالفعل أو ما سمعه شيخه الكسائي فهي في الغالب أوجه من الكلام خارجة عن الحد وقد تكون من لغات العرب الكثيرة أو القليلة اللهجية وغير اللهجية.

ويمكن من الآن أن نلاحظ أنّ كلتا المدرستين تعتمد أساسا على القياس واستنباط الحدود ومع إثبات كل الأوجه من الكلام الخارجة عنها الكثيرة أو القليلة.

هذا ويبلغ عدد الشواهد التي ذكرها القرآن في كتابه هذا فيما يخص كلام العرب المنثور فقط ثلاثمائة وستين عبارة.

والفرق الوحيد الذي نلاحظه يكمن في التساهل في قبول المسموع وتوثيقه عند بعض الكوفيين وهم قلة في ذلك، وهذا أمر ثابت وأقدم من صرّح به وأوثقهم في الوقت نفسه هو ابن سلام الجمحي في قوله: «وذكر بعض أصحابنا أنّه سمع المفضّل يقول: له130قصيدة ونحن لا نعرف له ذلك ولا قريبا منه، وقد علمت أن أهل الكوفة يروون له أكثر مما نروي ويتجوّزون في ذلك أكثر من تجوّزتا»[1]، وقال بعد هذا: « وأسمعني بعض أهل الكوفة شعراً زعم أنّه أخذه عن خالد بن كلثوم... فقلت له: كيف يروي خالد مثل هذا وهو من أهل العلم وهذا شعر متداع خبيث فقال: أخذناه عن الثقات- ونحن لا نعرف هذا ولا نقبله-»[2]ويلاحظ أنّ ابن سلام لا يتَّهِمُ لا المفضّل ولا خالد بن كلثوم في كلامه هذا، والحق ان كل العلماء من الكوفة الذين تتلمذوا على هذين العالمين كانوا لا يقبلون كل ما يروى. إنما ما وصفوه من الزيادة في الرواية جاء من بعض من لم يشتهر من زملائهم وبعض من ظهر منهم في القرن الثالث مثل أبي العباس ثعلب، ولا شك أنّ أكثر البصريين- مثل الأصمعي والخليل وسيبوية وغيرهم- كانوا ينشدون إلى ما لا مزيد عليه في قبول المسموع.

والدليل على كل هذا التحرّج الكبير الذي أبداه البصريون والكوفيون الذين ذكرناهم، فبالنسبة إلى سيبوية فإنّ تحّجه كان عظيما جداّ بالنسبة إلى المسموع الثابت الذي لا يُردّ فهو يقدّم السماع

(1). ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح محمود محمد شاكر، القاهرة1952م، ص148.

(2). المصدر نفسه.

على القياس وذلك مثل قوله: « اسْتحْسِنْ من هذا ما استحسنت العرب وأجْرِهِ كما أجْروه»[1]، ومثل هذا الموقف يوجد عند أكثر النحّاة: بصريين كانوا أم كوفيين وقد عيّر ذلك ابن جنّي وهو من أباع مدرسة سيبوية بهذا الكلام الموجز «السماع يبطل القياس،[2] ومعناه هو أن السماع إذا ثبت فهو وحده المعمول به إذا عارضه القياس.»

3.السّر في اعتماد النحاة أكثر على كلام العرب:

وقول آخر ادّعاه أيضا أصحاب القول السابق: وهو تهاون العلماء القدامى القرآن في استنباطهم لقواعدهم حتى دعا أحدهم إلى إعادة العمل الاستنباطي بالاعتماد على القرآن وحده، وهذا القول في اعتقادنا إجحاف وظلم أيضا، فكل هذه الأجيال من العلماء الذين عنوا بالنظر في النص القرآني، وهو أول ما قام به النحاة وكانوا في الأول كلهم من القراء- ثم في كلام العرب يكونون قد ارتكبوا هذا الخطأ الفظيع أن يكونوا قدّموا الشعر على القرآن في هذا العمل الاستنباطي- بدليل القليل من الشواهد القرآنية التي وردت في كتاب سيبويه وهو يمثل في الواقع نصف العدد لما استشهد به من الشواهد الشعرية[3].

فصحيح انّ هذه الشواهد الشعرية هي في العدد ضعف ما استشهد به العلماء من الآيات القرآنية والحق أنّ هذا جدّ طبيعي ولا يدل أبدًا على أي تهاون من قبل النحاة العرب- معاذ الله- والاستدلال على ذلك يحتاج إلى معرفة علمية خاصة بالألسنة البشرية وعلموها، فالمواد اللغوية التي يعتمد عليها في الوصف العلم للغات(ومنه استخرجت الثوابت) ليست كلّها من نوع واحد، فمنها المغلقة التي تتكون من نص واحد لا نظير له في هذه المادة اللغوية فما أنّ هذا المصدر اللغوي مكتمل بهذا النص فله إذن حدٌ أي بداية ونهاية، وعناصره على هذا معدودة، وهكذا هو النّص القرآني فهو بالنسبة للنحاة مصدر لغوي محدود الحجم والعناصر، وليس مثل ما كان كلام العرب شعراً ونثراً في زمان الفصاحة وخاصة في عصر التدوين إذ كان مصدراً لغوياً مفتوحاً فلم يزل العلماء يسمعون من فصحاء العرب بدون انقطاع حتى نهاية الفصاحة العفوية فلا بدّ أن تكون عناصره غير محدودة العدد

(1). سيبوية، الكتاب، طبعة بولاق، ج1، 1316،1317هـ، ص255.

(2). المازني ،المنصق شرح تصريف، تح ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ط1، 1373هـ-1954م، ص240.

(3). عبد الرحمان الحاج صالح ، السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص333.

بالنسبة إلى هذا الزمان المعيّن فإذا كان الامر كذلك فلا عجب ان نجد كلام العرب في الشواهد متفوقاً في الكم على الشواهد القرآنية، والغريب هو أن لا نعجب من وجود هذا الفرق نفسه في الذي دوّن من المسموع غير الشواهد: فالدواوين الشعرية الفصيحة التي دوّنت أكبر حجماً بالطبع من النّص القرآني ولا يمكن أن يكون الأمر إلاّ كذلك.

وقد تفطّن إلى ذلك علماؤنا يقول الأعلم الشنتمري ردًّا على المبرد: «ليس كل لغة توجد في كتاب الله عز وجل ولا كل ما يجوز في العربية يأتي به القرآن والشعر وللمبرد مذاهب تجوّزها لم توجد في القرآن»[1].

وقال القرّاء: «والقراء لا تقرأ بكل ما يجوز في العربية»[2].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «... إنّما تجوز في العربية وإنّه لا يعرف أحداً قرأ بها».[3]

و قال الزجاج نفسه: « ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز إلا أن تثبت رواية صحيحة أو يقرأ به كثير من القراء»،وقال أيضا: « قلا تقرأ بحرف لم يقرأ به وإن كان ثابتا في العربية»[4].

فما في المسموع من كلام العرب نظما ونثراً، هو بالطبع كما قلنا أكبر حجمًا مما في القرآن الكريم من العبارات فكيف يلام علماء العربية بكثره استشهادهم بكلام العرب وقد نزل القرآن بكلا مهم؟

(1). الأعلم الشنتمري، النكت في شرح الكتاب، تح زهير عبد المحسن سلطان، الكويت1987 م، ص457.

(2). الفرّاء، معاني القرآن، ج1، تح محمد علي النجار القاهرة1955،1965م، ص245.

(3). أبو عبيد القاسم ابن سلام، فضائل القرآن تح، أحمد الخياطي(دبلوم الدراسات الاسلامية العليا) ، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1407هـ 1986م.

(4). أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الحليل عبد شلبي، عالم الكتب بيروت ،الطبعة الأولى،1408هـ- 1988م، ص153.

خاتمـــــــة

خاتمة

في ختام بحثنا هذا هذا نستخلص التي توصلنا إليها من خلال ما عرضنا من النقاط التالية:

نشأ النحو رحاب الدراسات القرآنية، فلذلك وضعت أصوله وأحكامه في ظل هذه الدراسة يعد عبد الرحمن الحاج صالح باحث علمي محترفا بامتياز، حيث أنه يتمتع بصفات البحث المتميز ، فهو موضوعي في طرحه للمواضيع كما أنه ليس مقلد للقديم أو الحديث، وإنما ينظر في معطياتها نظرة المتفحص والمتمرس الذي يقبل الأفكار إلا بأدلة مقنعة، وهذا ما جعل أحد الباحثين يصفه بثعالبي العصر

يعد السماع أصلا مهما من أصول النحو فمعناه الاصطلاحي قد بدأ في القرن الثاني الهجري فالسماع طريق مهم اعتمد عليه النحات كثيرا في جمع المادة اللغوية ثم تحليلها

السماع هو أخذ اللغة عن العرب الخلص الذين يوثق بكلامهم

السماع هو النقل بمصطلح الانباري فهو كلام العربي الفصيح المنقول النقل الصحيح الخارج عن حد القلة التي إلى حد الكثرة.

للسماع قسمان:

المتواتر والأحاد فالمتواتر ما شمل القرآن الكريم ، الحديث النبوي الشريف، كلام العرب شعرا ونثرا. للسماع شروط وتتفرع إلى الناقل والمنقول والمنقول اليه.

مصادر السماع تمثلت في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام العرب.

الفصاحة كما يراها عبد الرحمن الحاج صالح هي طلاقة اللسان أي الخلوص من عقدة اللسان.

الفصاحة حدود زمانية ومكانية قد حددت الفترة الزمنية الذين يحتج بلغتهم ثلاث قرون منهاى 150 قبل الإسلام و 150 بعده. أما بالنسبة للحدود المكانية قدنظر اللغويين إليها على أساس مبدأ التأثير والتأثر، فقد كانت البوادي ومعاييرها والحواضر وحدودها كما حددها عبد الرحمن الصالح

أصل اللغة العربية مشركة حقا ويقول الحاج صالح في ذلك أن هذا الرأي اعتقاد وهمي مؤكدا رأيه بأدلة منها:

شهادة القرآن التاريخية ، وقوع التفاهم في حقيقة اللهجات العربية.

أصل اللغة التي اقتبسها العلماء هناك من يقول أنها بمفهوم اللهجة وهناك من يقول أنها بمفهوم آخر.

يعتبر عبد الرحمن الحاج صالح أن السماع عند الكوفيين والبصريين يعتمد على أساس القياس واستنباط الحدود مع إثبات كل الأوجه من الكلام الخارج عنه الكثرة والقلة.

تتمثل تقنيات السماع:

السماع بدون تدخل المتحرّي أو الاستلغاء، السماع النشيط

وضعت الخريطة لتبيان الحدود الزمنية والمكانية للفصاحة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

القرءان الكريم

- أحمد أبوسعد،أغاني ترقيص الاطفال عند العرب ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1982.
- المازني ،لمنصف شرح تصريف، تح ابراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، ط1، 1373هـ-1954م.
- ابن الأنباري ، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1987م، ص431.
- ابن الانباري، لمع الأدلة، تح. سعيد الأفغاني، (د ط) ، مطبعة جامعة السورية، سوريا، 1957،
- ابن الجرزي، النشر في القراءات العشر، تح علي محمد الضباع، القاهرة، (د. ط) ،
- ابن السيرافي، شرح أبيات سيبوية، تح محمد علي الريح هاشم، دار الفكر، القاهرة، 1947م،
- ابن جنّي ، الخصائص، ج1، تح محمد علي النجار، القاهرة، 1386-1389،
- ابن جني، الخصائص، ج2، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، (د. ط) ،.
- ابن دريد ،جمهرة اللغة ، ، ج1، القاهرة، مصر 1351 هـ .
- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح محمود محمد شاكر، القاهرة1952م،
- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د. ت) ،
- ابن فارس ،مقاييس اللغة، ، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر بيروت لبنان، ط2، 1992،
- ابن قارس، مقاييس اللغة، تح شهاب الدين ابو عمرو، دار الفكر ، بيروت، لبنان، (ط2)، (1418هـ، 1998م).
- ابن منظور، لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الجليل عبد شلبي، عالم الكتب بيروت ،الطبعة الأولى،1408هـ- 1988م،.
- أبو المكارم، نزهة الألباء،

- أبو بشر بن عثمان سيبويه،الكتاب،طبعة بولاق1، 1316-1317هـ،
- أبو حاتم الجستساني، كتاب المذكر والمؤنث، تح عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت- لبنان، حلب- سوريا، دت،دط،
- أبو زكرياء الفرّاء، معاني القرآن ، تح، محمد علي النجّار، د ط، القاهرة، 1980، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1،
- أبو عبيد القاسم ابن سلام، فضائل القرآن تح، أحمد الخياطي(دبلوم الدراسات الاسلامية العليا) ، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1407هـ 1986م.
- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ بن عبد السلام هارون ،البيان والتبيين، ج(1)، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، مصر، 1984م.
- أبو عثمان عمرو بن الجاحظ بن عبد السلام هارون ،البيان والتبيين، ج 1، مكتبة الحانجي، القاهرة، ط 7، 1998.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،البيان والتبين،ج1،تحقيق عبد السلام هارون ،القاهرة،1940-1947م،
- أبو منصور الازهري ،تهذيب اللغة،تحقيق عبد السلام هاررون،ج1،القاهرة،1964-1967م.
- ابى هلال العسكري :الفروق اللغوية، دار العلم والثقافة، د ط،دت.
- أبي أحمد الحسن بن فارس بن زكريا ،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،الطبعة الاولى .1418,1997.
- أبي الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ط2، بيروت: د ت، دار الكتب العلمية، ج1،
- أحمد ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة، ، مصطفى شيومي، مؤسسة بدران، ط1، 1963.
- أحمد أمين، منحنى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط10)، (ج2)،
- أحمد مكي الأنصاري ،سيبوية والقراءات، القاهرة دط،1972.
- الأعلم الشنتمري، النكت في شرح الكتاب، تح زهير عبد المحسن سلطان، الكويت1987

- الإمام الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1 ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم عيسى البابي الحلبي، ط2، (1976هـ) .
- أندري مارتين، مبادئ في اللسانيات العامّة، دار الآفاق، د ط، دت.
- البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1979، .
- تمام حسان، الأصول دراسة للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للتاب ، 982م،.
- التواتي بن التواتي:المدارس النحوية،دار الوعي،دط،2008م.
- الجاحظ الحيوان، تح عبد السلام هارون ، ج4، القاهرة1940، 1947.
- الجرجاني ،دلائل الإعجاز، ، تح: محمد رشيد رضا، قاهرة، مصر، 1335، . ديوان بشار بن برد، تح: محمد الطاهر بن عاشور،وزارة الثقافة الجزائر،2007،.
- جلال الدّين السيّوطي ، الاتقان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1 ،(د. ط)، القاهرة ،1984.
- جلال الدين السيوطي :الأقتراح في أصول النحو،دار المعرفة الجامعية ،دط ،1426-2006.
- الجوهري، تاج اللغة والحجاج، (د. ط)، القاهرة، مصر، دار الحديث .
- الحيوان، الجاحظ، تح: هارون، ج3، القاهرة: مصر،1947.
- خصائص، ابن جني، (ج2). القاهرة- مصر.1386-1389.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي ،العين، ، تح: مهدي مخزومي، بغداد، القاهرة، ج3، 980.
- الرازي، مختار الصحاح: مكتبة لبنان، (د.ط)، 1986،.
- الروض الانف،عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي،تحقيق عبد الرحمن الوكيل،دار الكتب الاسلامية ،ط1، 1967،ج2،.
- الزجاجي أبو القاسم،مجالس العلماء،تح عبلاد السلام هار ون ،الكويت،1962ص71.
- الزركشي، البرهان في علوم القرآن،تح: محمد ابو الفاضل ابرهيم عيسى البابي الحلبي ،ط2،
- سعيد الأفغاني ،في أصول النحو :، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دط ،1414هـ/1994م.

- سيبويه، الكتاب، ج1، ط بولاق، 1316، 1317هـ.
- سيبويه،خالدجمعةعبدالكريم،شواهدالشعرفي كتاب،دارالنشر الشرقية،ط2,1409هـ-1989م.
- سيبويه. الكتاب، ط بولاق، ج2.

سيد البحراوي ،العروض والايقاع الشعر العربي، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.

- السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: علاء الدين عطية، طبعة2، دار البيروتي، دمشق، سوريا، 2006.
- السيوطي، الاقتراح في علم النحو. تح اسماعيل الشافعي، دار المعرفة الجامعية ،دط،1426,2006م.
- السيوطي، المزهر، (ج1)، مكتبة دار التراث ، القاهرة، مصر، طبعة(3) ،2008،
- شريف الجرجاني، تح: مصطفى أبو اليعقوب، مؤسسة الحسن، دار البيضاء، المغرب، (ط1) ، (2006) .
- شمس الدين الذهبي ،سير أحلام النبلاء، ، مؤسسة الرسالة بيروت، ج10،ط1، 1982.
- صادق عبد الله أبو سليمان ،أهمية السماع في تحصيل اللغة ، بحث في مجلة اللغة العربية، القاهرة، العدد 97.
- صالح بلعيد،مقاربات منهاجية،،دار هومة،دط،2004م.
- عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ، ،دار الفكر بيروت،ط1، 2004.
- عبد الوهاب حمودة، القراءات واللهجات، ط2، ، مكتبة النهضة المصرية
- عبدالمجيدعيساني،النحوالعربي ، الأصالةوالتجديد،دارحزم.ط1،2008م .
- علي أبو المكارم، أصول التفكير النحو، دار الغريب القاهرة، مصر2005.
- علي بن أبي علي الأمدي، الأحكام في أصول الأحكام، ط2، بيروت: 1400هـ، دار الكتب العلمية.
- علي بن برهان الدين الحلبي،السيرة الحلبية في سيرة مأمون ، ،دار المعرفة ،بيروت،ج1.
- الفرّاء، معاني القرآن، ج1، تح محمد علي النجار القاهرة1955،1965م.

- فصيح مقران: المدخل الجامع في أصول نظرية النحو العربي ،دار الوسام العربي ،ط1،عنابة، الجزائر،1432هـ-21011م.
- الفيروز أبادي، المحيط، ط8، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، 2005،
- الكتاب ، سيبويه، طبعة بولاق2، 1317، القاهرة.
- للفيروز بادي، قاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- ماهر عباس جلال ،شرح ابن خروف، ، مجلة المجمع الأردني، العدد 64(2003)،
- محمد أحمد نحلة، أصول النحو. (د. ت)، (د ط)، دار العلوم العربية بيروت، لبنان.
- محمد بن محمد بن الجزري.، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمّد الضبّاع، ج1 ،(د. ط) ، مصر (د. ت) المكتبة التجارية،.
- محمد خان ،مدخل إلى أصول النحو، جامعة محمد خيضر ،دار الهدى لطباعة والنشر، عين مليلة ،الجزائر، دط ،دت.
- محمد خان، اللهجات العربية والقراءات القرآنية،
- محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، جامعة بيروت العربية، دار المعرفة الجامعية، 2002.
- المرتضى ،الامالي المرتضى،ج1-تحقيق أبو الفصل إبراهيم ،القاهرة، 1387هـ-1967م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،ج1.
- معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (ط4) ، مصر، مكتبة شروق الدولية2004، ص449.
- م-محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، ط3، مطبعة الشرق، القاهرة: 1988،.
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (د.ط)، دار القاهرة: مصر، 1933.

المجلات والمذكرات:

- أصول النحو العربي عند السيوطي من خلال كتابه الاقتراح في علم أصول النحو، مذكرة لنيل درجة ليسانس، 1432-1433هـ- 2011-2012 .

- خير الدّين هبال، الأحكام النحوية عند البصريين من خلال المدوّنة اللغوية الفصيحة، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجستير.
- سليم عورايب، مصطلحات علم أصول النحو من خلال ابن جني، رسالة ماجستير' جامعة ورقلة
- عبد الرحمن الحاج صالح ،بحوث ودراسات في علوم اللسانيات بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ، موفم للنشر،ج1،دط،2007 .

ابراهيم الشيخ عيد، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الانسانية، مجلد19، عدد ثاني2015.

رشيد حليم، منهج السماع والبحث اللساني، مجلة الأدب والعلوم الانسانية، ماي2005، العدد الخامس، 2005،

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان	
مقدمة	
الفصل الأول: التعريف بعبد الرحمان الحاج صالح	
أولا: مولده وحياته	
ثانيا: جهوده اللغوية والعلمية	
أ. جهوده اللغوية	
ب. جهوده العلمية	
تعريف السماع اللغوي	
– أقسام السماع	
– شروط السماع	
الفصل الثاني : المصادر اللغوية للسماع	
أولا : القرآن الكريم	
ثانيا: الحديث النبوي الشريف	
ثالثا : كلام العرب	
الفصل الثالث : مفهوم الفصاحة وإهتمام العرب بالسماع	
أولا: مفهوم الفصاحة	
– حقيقة الفصاحة: فصاحة اللغة أو القبيلة	

– التطور المكاني والزماني للفصاحة	
– هل هناك لغة عربية مشتركة	
– آراء الحاج صالح في اللغة المشتركة	
1.شهادة القرآن التاريخية	
2. مقصود من كلمة لغة في زمان سيبويه.	
3. وقوع التفاهم وحقيقة اللهجات العربية:	
ثانيا:السماع عند العرب	
– اهتمام العرب بالسماع	
– اصحاب التحريات	
– منهجية التحري	
– أنواع التحري	
– تقنيات السماع	
أ)سلبيا	
ب)نشيطا	
ثالثا: مقاييس الصحة لمحتوى المسموع:	
المقاييس العامة	
أ– خصائص المسموع اللغوي العربي ونقد المفهوم البنيوي للمدونة	
ب– الاعتراضات على الشواهد والمسموع عامة: ما قيمتها العلمية	

رابعا: سماع الكوفيين وسماع البصريين	
1- اعتماد النحاة على النثر أكثر من اعتمادهم على الشعر	
2- سماع الكوفيين لكلام العرب المنثورة	
3- السّر في اعتماد النحاة أكثر على كلام العرب:	
خاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس الموضوعات	